

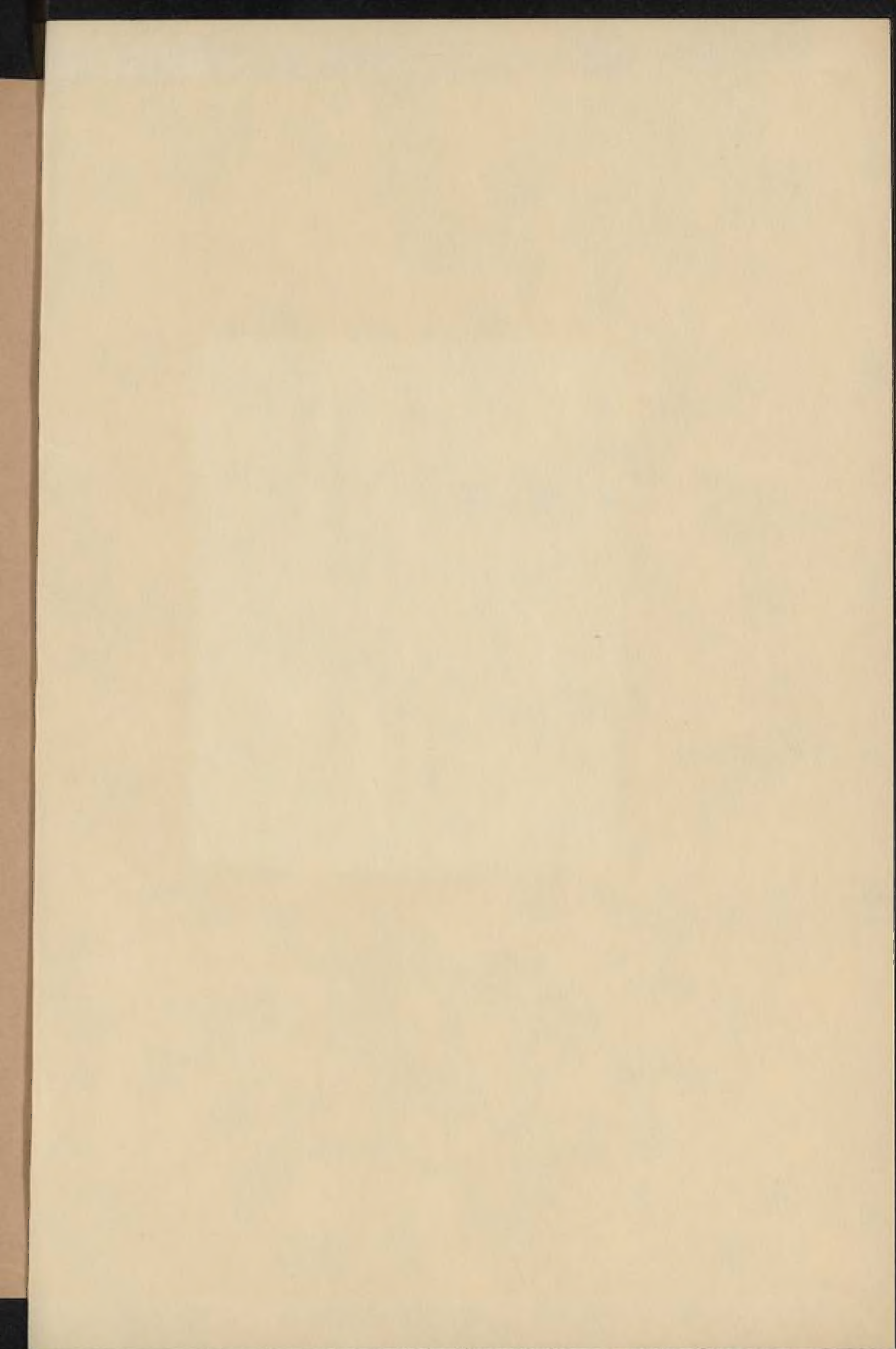
Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY

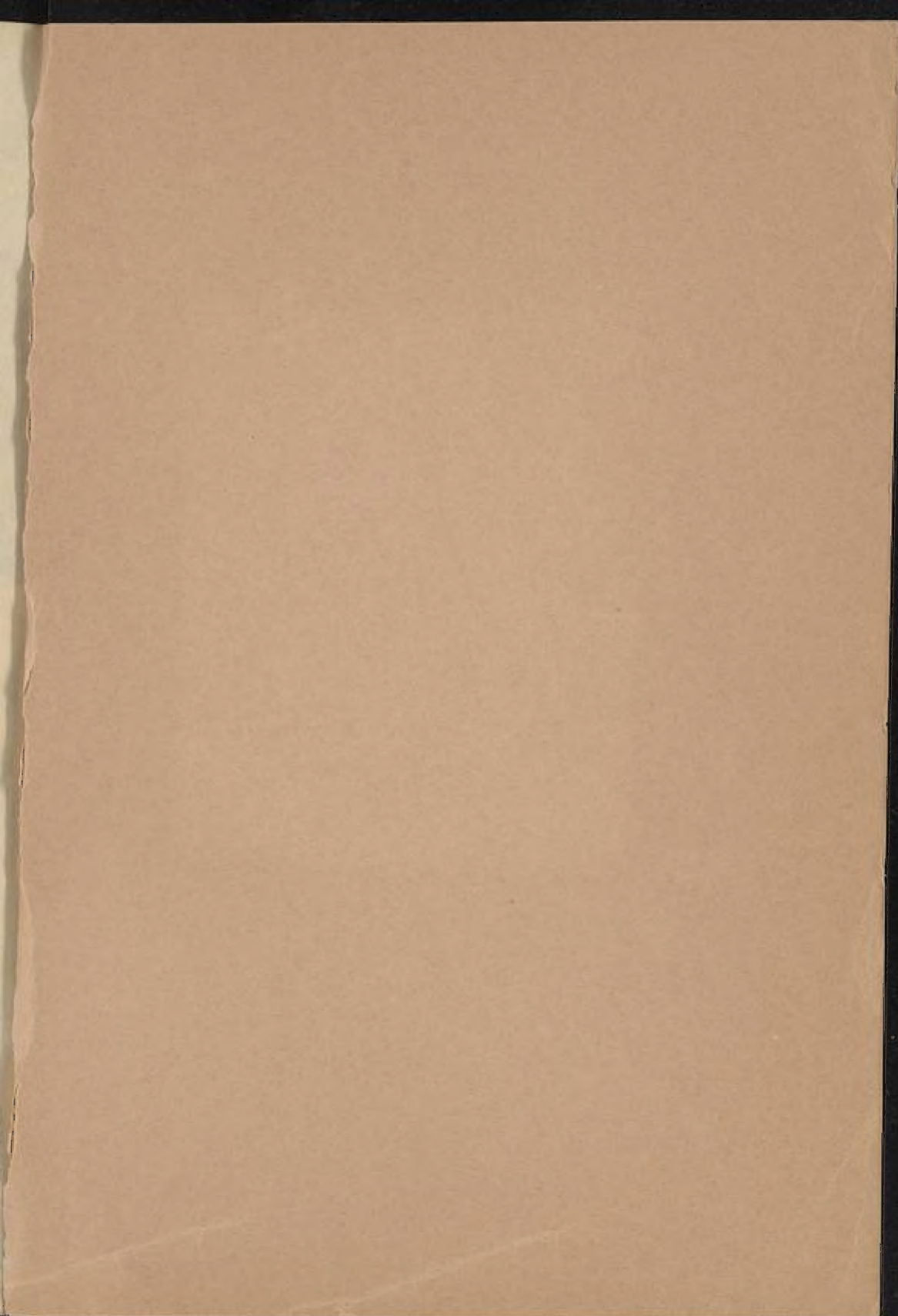




المكتبة الفارسية

قصة الحضارة الفارسية

الكتاب
أبراهيم الشواربي



قِصَّةُ الْحَضَارَةِ الْفَارِسِيَّةِ

نقلا عن كتاب « قصة الحضارة »

تأليف : ول دورانت

ترجمها إلى العربية

الدكتور
أبراهيم أمين الشواربي

المدرس بكلية الآداب ومعهد اللغات الشرقية
بجامعة فؤاد الأول

الناشر مكتبة الخانجي

١٩٤٧

C.A.
251
D8

" The Story Of Civilisation "

By " Will Durant "

NEW YORK 1942

مقدمة المترجم

هذه فصول منقولة من كتاب « قصة الحضارة » الذي أصدره الأستاذ المؤرخ « ول دورانت » بمدينة نيويورك في سنة ١٩٤٢ .

وتشتمل هذه الفصول على « قصة الحضارة الفارسية » كما رواها الأستاذ « دورانت » في الباب الثالث عشر من كتابه الكبير الذي جعله موسوعة تاريخية مفصلة، تضمنت الحديث المستفيض عن « تراث المشرق » وما اشتمل عليه من حضارات السوميريين والمصريين والبابليين والآشوريين والحيثيين واليهود والفرس والهنود والصينيين واليابانيين .

وقد استطاع الأستاذ « دورانت » بمهارته التي اتصف بها ، أن يعرض علينا قصص هذه الحضارات في أسلوب رصين شيق ، يمتاز بطلاوة الحكاية وطرافة الرواية والتعمق في اختيار الموضوعات والتدقيق في ذكر الأخبار والتفصيلات . ومكنته براعته في دراسة التاريخ من أن يضمن إيجائه جميعاً كثيراً من التحقيقات الفنية الحديثة دون أن يشعرنا أثناء عرضها بشيء من الملل والسأم اللذين يصحبان عادة مثل هذه الأبحاث العلمية العويصة ؛ فالتاريخ كما فهمه « دورانت » وأضرابه ، قصة ممتعة ، يستطيع المؤرخ النابه أن يرويها لسامعيه في يسر وهواة ، فيجعل منها مجموعة من الأحاديث الطريفة الشيقة التي ترتبط أجزاؤها ارتباطاً وثيقاً يدعو إلى الامتاع والاقناع وإلى الإعجاب بلباقة المحدث وبراعة الحديث .

وقد جرى « دورانت » على هذا النهج في سائر كتبه وأبحاثه ، فوجدناه مؤرخاً رقيق العبارة ناضج التفكير في كتابه « قصة الفلسفة » الذى أصدره فى لندن فى سنة ١٩٢٦ ؛ ووجدناه محدثاً من الطراز الأول فى « قصة الحضارة » التى أصدرها فى سنة ١٩٤٢ ؛ كما وجدناه مؤرخاً غزير المادة وافر الموضوع فى كتابه الأخير « قصة الحضارة الرومانية » الذى أصدره فى نيويورك سنة ١٩٤٤ وليست هذه هى المرة الأولى التى تقدم فيها الأستاذ « دورانت » للقارىء العربى ، فقد سبقنى إلى هذا الفضل أستاذى الجليل صاحب العزة أحمد أمين بك فى مقدمة كتابه « قصة الفلسفة الحديثة » فذكر مقدار ما أصابه هذا الأستاذ من « توفيق فى عرض مسائل الفلسفة وتحليل رجالها فى أسلوب رقيق وبيان واضح » فإذا أقدمت اليوم على نشر هذه الفصول المتعلقة بـ « قصة الحضارة الفارسية » كما رواها الأستاذ دورانت ، فأنا لا أفعل أكثر من أن أقدم للقارىء العربى مثالا من كتابات هذا المؤرخ الاجتماعى الكبير ، لعل فى ذلك ما يشجذ المهتم على ترجمة كتبه كلها أو بعضها ، وعلى الخصوص كتاب « قصة الحضارة » لارتباطه بمحاضرات مشرقنا الخالد العتيد .

و « قصة الحضارة الفارسية » بعد ذلك كله قصة شائقة ، يستطيع القارىء العادى أن يجد فيها المتعة واللذة اللتين تشتمل عليهما أجود الأبحاث التاريخية سبكاً وأبرعها أسلوباً ، كما يستطيع القارىء المتخصص فى الدراسات الشرقية أن يجعل منها نواة لأبحاث علمية كثيرة تتصل بمحاضرة « فارس » فى أقدم عصورها وأبعد وأزمانها ؟

القاهرة فى ٢٧ رجب سنة ١٣٦٦

١٦ يونيه سنة ١٩٤٧

محتويات الكتاب

ج	مقدمة
٣	الفصل الأول : الميديون ارتفاع أمرهم وزوال دولتهم ؛ أصولهم وحكامهم ؛ معاهدة سرديس السلمية ؛ دور الانحطاط
٩	الفصل الثاني : عطاء ملوك الفرس قورش ذو الشخصية الرائعة والأساليب المهدية ، قبيز ؛ دارا الاول ؛ غزو اليونان
١٧	الفصل الثالث : الحياة الفارسية الإمبراطورية ؛ الشعب ؛ اللغة ؛ الفلاحون ، الطرق والمواصلات ؛ التجارة والصناعة .
٢٥	الفصل الرابع : تجارب الحكم والإدارة الملك ؛ النبلاء ؛ الجيش ؛ القناصون ؛ عقوبة وحشية ؛ فوز في الإدارة

٣٧ الفصل الخامس : زردشت

بعثة النبي في الدين الفارسي قبل زردشت ؛ كتاب الفرس
المقدس ؛ آهورامزدا ؛ آلهة الخير والشر وكفاحهم
للسيطرة على العالم .

٤٦ الفصل السادس : فلسفة الأخلاق لدى الزردشتيين

الإنسان هو ميدان المعركة ؛ النار التي لا تخمد ؛ الجحيم
والأعراف والجحنة ؛ عبادة منرا ؛ المجوس والپارسيون ؛

٥٥ الفصل السابع : آداب الفرس وأخلاقهم

القوة والشرف ؛ مراسم التطهير والنظافة ؛ خطايا الجسد ؛
العداوى والعزاب ؛ الزواج والنساء والأطفال ؛
أفكار الفرس في التعليم والتربية

٦٤ الفصل الثامن : العلوم والفنون

الطب والفنون الصغيرة ؛ مقبرتا «قورش» و «دارا» ؛
قصور «پرسپوليس» ؛ أفريز الرماة ؛ تقدير الفن الفارسي

٧٥ الفصل التاسع : دور الانحطاط

كيف تزول الأمم ؛ اگزرسيس ؛ صفحة من القتل
والغدر ؛ ارتارگزرسيس الثاني ؛ قورش الأصغر ؛ دارا
الأصغر ؛ أسباب الانحطاط السياسية والحربية والخلقية ؛
الاسكندر يفتح إيران وينحرف على الهند

٨٥ كشف بالأسماء : يشمل أسماء الأشخاص والأماكن

المكتبة الفارسية

مجموعة من الكتب يصدرها الدكتور إبراهيم أمين الشواربي ليعين القارىء على دراسة الفارسية وآدابها والاطلاع على ما بها من درر روائع وفرائد زواهر ، صدر منها حتى الآن الكتب والمجموعات العلمية الآتية :

١ — القواعد الأساسية لدراسة الفارسية .

وهو أول كتاب وضع بأسلوب علمي حديث لتعليم اللغة الفارسية للأبناء العربية ، وهو مطبوع بلجنة التأليف والترجمة والنشر في سنة ١٩٤٣ م

٢ — أغاني شيراز أو غزليات حافظ الشيرازى (فى جزئين كبيرين)

وهو عبارة عن أول ترجمة عربية لديوان حافظ الشيرازى تقع فى جزئين كبيرين ، طبعا بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، الأول منهما فى سنة ١٩٤٤ والثانى فى سنة ١٩٤٥ م .

٣ — حافظ الشيرازى .

وهو عبارة عن دراسة واسعة مفصلة لأحوال هذا الشاعر الأيرانى الكبير ، تضمنت وصفاً مسهباً لموطنه وعصره وظروف حياته ومواضيع فلسفته ومحتويات ديوانه .

وقد طبع هذا الكتاب بدار المعارف ومطبعتها سنة ١٩٤٤ م .

٤ — حقائق السحر فى دقائق الشعر :

أول كتاب فى علوم البلاغة الفارسية ، وضعه باللغة الفارسية أصلاً رشيد

الدين محمد العمري «الكاتب البلخي المعروف بالـ «وطواط» المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقد نقلناه إلى العربية لأول مرة في سنة ١٩٤٥ م وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٥ - قصة الحضارة الفارسية .

بحث طريف في أسلوب ممتع ، نشره الأستاذ «ول دورانت» بالإنجليزية ضمن كتابه «قصة الحضارة» وقد نقلناه إلى العربية وطبعناه على حدة في مطبعة السعادة سنة ١٩٤٧ م .

٦ - بحث فيما نقله الجاحظ من أخبار الفرس .

منشور في مجلة كلية الآداب بالجزء الثاني من المجلد الرابع سنة ١٩٣٩ م .

٧ - مصادر فارسية في التاريخ الاسلامي .

بحث علمي مطول منشور في مجلة كلية الآداب بالمجلد السابع سنة ١٩٤٢ م .

٨ - نشأة الشعر الفارسي الاسلامي .

بحث علمي منشور في العدد الثامن من مجلة كلية الآداب بالمجلد الاول سنة ١٩٤٦ م .

٩ - رحلة في إيران .

مقالات منشورة بمجلة الراوى الجديد بالسنة الثامنة سنة ١٩٤٣ م .

وتطلب هذه الكتب والأبحاث من «مكتبة الخانجي» بشارع عبد العزيز بالقاهرة

قصة الحضارة الفارسية

نقل عن كتاب « قصة الحضارة »

تأليف : وليام دورانت

ترجمها إلى العربية

الدكتور إبراهيم أنيس الشواشي

المدرس بكلية الآداب ومعهد اللغات العرقية
بجامعة فؤاد الأول

مطبعة التعادلة بحوارمخافض مصر

١٩٤٧

" The Story Of Civilisation "

By " William Durant "

NEW YORK 1942

الميديون

ارتفاع أمرهم ووزوال دولتهم
أصولهم وحكامهم
معاينة سرديس الدمويه
دور الانحطاط

من هم الميديون الذين لعبوا دورا هاما في تحطيم الآشوريين . . ؟
أما أصلهم فلا سبيل لنا إلى ادراكه لأن التاريخ كتاب كبير لا يسع
القارئ إلا أن يبدأه من منتصف صفحاته . وأول ما ورد لنا من أمرهم محصور
في لوحة من اللوحات سجلوا فيها حملة « ساما نصر الثالث » على بلاد تسمى
« بارسوا » في جبال كردستان سنة ٨٣٧ ق . م وكانت هذه البلاد فيما يظهر
مكونة من سبع وعشرين ولاية ، يحكمها سبعة وعشرون حاكما الرؤساء والحكام ،
وكانت قليلة السكان يقطعها شعب من الناس يسمى « أماديا » أو « ماديا » أو
« الميديين » وهم شعب من الشعوب الهندية الأوروبية ، قد أقبلوا من شواطئ
بحر قزوين إلى الأقاليم الأخرى من آسيا في الفترة التي تقدمت السنوات الألف
السابقة على ظهور المسيح . والزند اخستا « وهو عبارة عن مجموعة النصوص المقدسة
لدى الفرس » يرتفع بذلك هذه البلاد القديمة إلى درجة المثالية حتى ليصورها بصورة
جنة انخلد الموعودة ؛ ولكن الماضي دائما جميل ، وحاله في ذلك حال الشباب
بذلك رياته ، فهي رائعة حقا وجميلة حقا . بشرط الا نضطر في وقت من الأوقات
إلى أن نعيش ثانية في هذه الفترات الماضية العابرة .

ويبدو أن «الميديين» أخذوا يحجرون أولا الإقليم المحيط بـ «بخارى» و«سمرقند» ثم أخذوا يهاجرون جنوبا إلى أن وصلوا إلى «فارس» فاتخذوها موطنًا جديدًا لهم، ووجدوا في جبالها النحاس والحديد والرصاص والذهب والفضة والرخام وسائر الأحجار الكريمة، وكانوا بالإضافة إلى ذلك قوماً يمتازون بالبساطة والقوة والنشاط، فاشتغلوا بتنمية الزراعة في الأودية وسفوح الجبال والتلال المحيطة بهم.

وقد أسس «ديوسيس» أول ملوكهم عاصمته الأولى في «إكباتانا» (١) وهي مدينة تتلاقى عندها عدة من الطرق والسبل، تقع في وادٍ خصيب رائع المنظر ترويه مياه الثلوج الذائبة التي تنحدر إليه من المرتفعات وقطن الجبال، ثم زين «ديوسيس» مدينته هذه بقصر ملكي رائع يشرف عليها من جميع تواحيها تبلغ مساحته ثلثي ميل مربع من الأرض. وقد ورد في مقطوعة غير مقطوع بصحتها في تاريخ «هرودوت» أن «ديوسيس» اكتسب شهرة عريضة في العدل والإصاف فتمكن بذلك من الاستيلاء على أزمة الأمور ولكنهم يلبث طويلاً حتى تحول بعد ذلك إلى حاكم مطلق شديد الاستبداد والعتو، فكان مما أصدره من أوامر ألا يسمح لأحد من عامة الناس بالدخول إلى حضرته والمثول بين يديه، وعلى من يريد أن يعرض عليه أمراً من الأمور أن يلتبس ذلك بواسطة الرسل والمندوبين، وجعل من أشد أنواع القحة أن يضحك شخص أمام الملك أو يبصق أثناء وجوده، وأخذ يحوط نفسه بمختلف المراسم والتقاليد لكي

(١) هي مدينة «همدان» الحالية.

يبدو لمن لم يره رأى العين مختلفا في طبيعته عنهم وعن سائر الناس أجمعين .
وقد قوى شأن « الميديين » بفضل حياتهم الطبيعية والاقتصادية ، واشتدت
شوكتهم بفضل ما أملت عليه لوازيم الحرب وما يتصل بها من عادات وظروف .
فاستطاعوا تحت قيادة « ديوسيس » أن يصبحوا مصدر خطر على « آشور » .
وقد تمكنت هذه الدولة الأخيرة من أن تغزو « ميديا » جملة مرات وظنت أنها
حطمتها تحطيمًا منظمًا لا قومة لها من بعده ، ولكنها لم تلبث أن وجدت لها لعل
القتال دفاعا عن حريتها واستقلالها ، حتى تمكن في النهاية « سياكرارس » وهو
أكبر ملوك « ميديا » إطلافاً من أن يحسم الأمور بينشوريين الآشوريين بتحطيم
مدينة « نينوى » . وأوحى له هذا الظفر المؤيد بأن يقود جيشه فيجتاح الأراضي
الواقعة في غرب آسيا ويصل إلى أبواب « سرديس » ولكن منعه من الاستيلاء
عليها كسوف أصاب الشمس عند وصوله إليها ، جعل جماعة من القواد المعارضين
يخسئون بالهبة والخوف أمام هذا النذير الذي انفرج بهم به السموات ، فرضوا
طائعين بامضاء معاهدة الصلح ، وأبرموها على رشف الجرعات التي تناولها كل
منهم من دم أخيه ، وبعد ذلك بسنة واحدة توفي « سياكرارس » بعد ما تمكن
اثناء حكمه من أن يرقى بملكته من ولاية تابعة ذليلة إلى إمبراطورية واسعة
عريضة تشمل على « آشور » و « ميديا » و « فارس » . . . ولكن هذه
الإمبراطورية الكبيرة ما لبثت أن زالت خلال جيل واحد بعد وفاته .

وقد كانت هذه الإمبراطورية قصيرة الأجل جدا بحيث لم يمكنها وجودها
القصير من أن تساهم في الحضارة بنصيب يذكر ، ولم يؤثر عنها إلا أنها مهدت
الطريق وعبدته للحضارة الفارسية الموشكة على الظهور . فالميديون هم الذين أعطوا

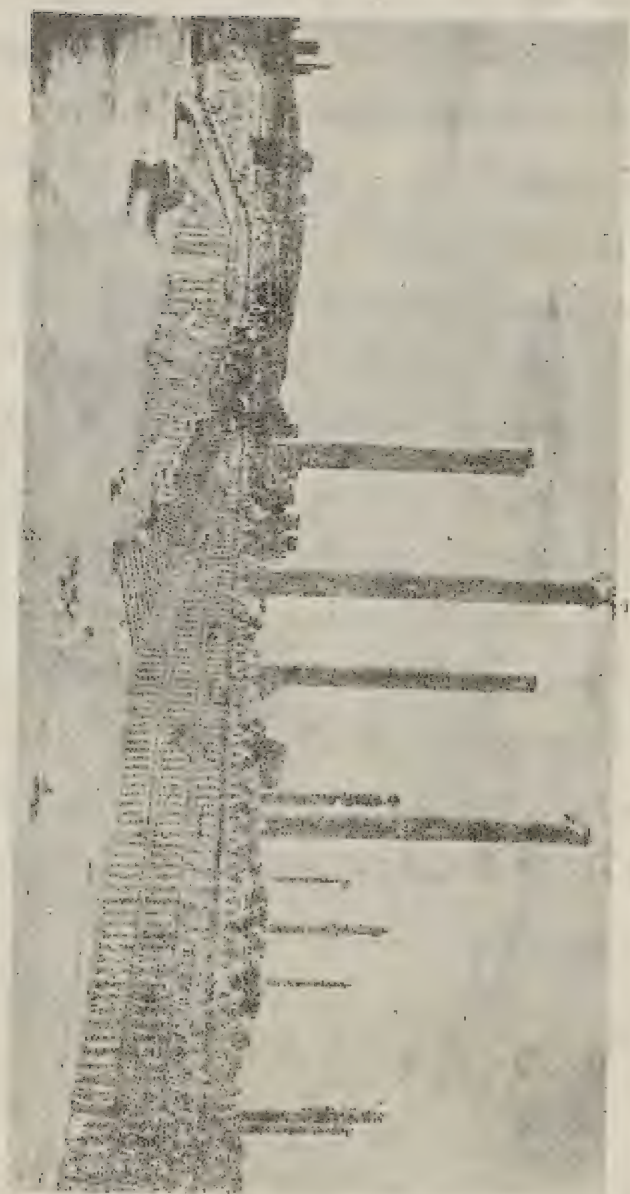
فارس لغتهم الآرية ، وهم الذين أعطوها حروف هجائهم التي تبلغ ستة وثلاثين حرفا ، وهم الذين علموهم أن يستغنوا عن قوالب العاين وان يستمضوا عنهما في الكتابة بالرفائق والجلود والأقلام ، وهم الذين علموهم الاكثر من استعمال الأعمدة في البناءات ، وهم الذين لقنوهم قوانينهم الأخلاقية ، وهم الذين أرشدوهم إلى أن يعتمدوا أثناء السلم على الزراعة ، وان يتفانوا أثناء الحرب في الشجاعة ، وهم أيضا الذين لقنوهم دين « زردشت » وعرفوهم بالهية « أهورا مزدا » و « أهرمن » . وهم كذلك الذين علموهم تقاليد الأسرة الخاضعة لرئيسها ، وتعدد الزوجات وجملة أخرى من القوانين الشديدة بقوانين الامبراطوريات المتأخرة التي يمكن وصفها جميعا بما ورد في عبارة دانيال حينما قال : « إن قوانين الميديين والفرس لا تقبل التغيير والتبديل » . . . أما آداب الميديين وفنونهم فقد ضاعت جميعا ولم يبق منها حرف ثابت أو حجر قائم .

وكان انحطاط « الميديين » وزوالهم أسرع بكثير مما لزم لنشأتهم وقيامهم . فقد برهن « استياجس » وهو الذي خلف أباه « سياكرزاس » على أن الملك مغامرة يتشاور على وراثتها أصحاب العقول الجبارة أو أصحاب العقول ذات الخلل والجنون . وقعت في ميراثه مملكة هادئة ، نشر الأمن لواءه عليها ، فاطمأن إلى ماورث وأخذ يتنعم بما فيها في دعة وسكون ، واحتلت الرعية حنوه ففسى الناس أخلاقهم القديمة وطراقتهم السليمة ، وأقبل الثراء عليهم من حيث لا يحتسبون ، فلم يجيدوا استعماله ولم يحسنوا البذل والإنفاق ، وأصبحت الطبقة العليا أسيرة لأسباب الترف ومختلف البدع ، ولبس الرجل السراويل المطرزة ذات الوشي ، وأسرف النساء في تغطية أنفسهن بمواد التجميل والحلى ، وتعدوا ذلك إلى الخيل

فألبسوها الكسى الموشاة بالقصب والذهب ، وتغير حال هؤلاء القوم ، فأخذوا
يتنقلون بين الولايم والأفراح في عربات باهظة الثمن والتكاليف ، وكانوا من قبل
قوما بسطاء من الرعاة ، يحسون بشدة اليهجة والسروء ، إذا استطاعوا أن يتنقلوا في
مركبات خشنة ذات عجلات غليظة ، قدت من جندوع الأشجار دون تهذيب أو
تشذيب ، وكان الملوك « الميديون » الأولون يفتخرون بالعدل والانصاف ، ولكن
« استياجس » حينما غضب على « هارياجوس » قدم إليه جنة أبيه بعد أن
مزق أوصالها ونزع عنها رأسها ثم اضطره إلى أن يأكل منها فأخذ « هارياجوس »
يأكل ، وهو يقول : « إن كل أمر يأتيه الملك يسره ويرضيه . . . » ولكنه
مالبث أن ساعد « قورش » على عزل « استياجس » فتعكن هذا الشاب الذكي ،
وقد كان حاكما على ولاية « أنشان » في فارس من قبل الميديين ، أن ينور ضد
هذا الملك المستبد الخنثى الذى كان يقيم في « اكباتانا » وأن يفوز عليه بنصر
مؤزر ، رحب به الميديون أنفسهم وفرحوا له ، فقبضوه ملكا عليهم دون أن تصدر
منهم كلمة واحدة من كلمات المعارضة أو الاحتجاج . وهكذا امتنعت « ميديا »
بهذه الحادثة الوحيدة من أن تستمر سيدة لـ « فارس » وأقلب الحال فأصبحت
« فارس » بعد ذلك سيدة لها ، وأخذت تعد العدة لتسود بلاد الشرق الأدنى برمتها



رمز لالة الفرس « أهورا مزدا »



مدينة « برسنو لانس » المروية في الغاز سنة ١٩٥٠م « تحت جيتيد »

عطاء ملوك الفرس

قورش ذو الشخصية الرائعة وأسلوبه المهدبة

قبيز

دارا الأكبر

غزو اليونان

كان « قورش » كما يقول « إرسون » واحدا من الحكام الموهوبين الذين تفتح قلوب الناس أجمعين عند تتويجهم ، فقد كان بطبعه ملسكيا في روحه وأعماله ، حازما في الإدارة وتدبير الأمن ، جادا في غزواته وفتوحاته ، كريما في معاملته للمغلوب ، محبوبا من أعدائه السابقين ، ومن أجل ذلك كله فقد جعله اليونان مدارا لجملة من القصص الرائعة ، واعتقدوا أنه أكبر الأبطال الذين سبقوا « الإسكندر » في الظهور والوجود . ومما يؤمننا حقا أن ما كتبه « هروdot » « وكسيفون » لا يساعدنا على تصويره صورة يمكن الوثوق اليها أو الاعتماد عليها ، فالأول منهما خلط كثيرا من القصص بالتاريخ ، بينما عمد الآخر إلى جعل حياته مقالة طويلة عن الفنون الحربية ، يتخللها أحيانا محاضرات في التربية والفلسفة ، وكثيرا ما اشتبه عليه الأمر فخلط بين « قورش » و « سقراط » . ولو أننا نزعنا هذا القصص الممتع وطرحناه جانبا ، لبقى لنا « قورش » شيخا ذاويا لا حياة فيه ، ولما أمكننا أن نقول عنه أكثر من أنه كان وسيم الطلعة جميل الهندام ، جعله الفرس إلى نهاية قتهم القديم مثلم في جمال الخلقة والجسد ، وأنه كان مؤسس « الدولة الأكيمييه » التي امتازت بعطاء الملوك الذين حكموا فارس في أوج

عصورها التاريخية وأعمالها شأناً ، وأنه هو الذي نظم الجند في «ميديا» و «فارس» بحيث أصبح جيشه لا يقهر ولا يغلب ، وأنه هو الذي استولى على «سرديس» و «بابل» وأنه سيطرة الساميين في غرب آسيا مدة السنوات الألف المقبلة من بعده ، وأنه هو الذي ضم إلى حوزة الإمبراطورية الفارسية كل البلاد التي كانت في أيدي «آشور» و «بابل» و «ليديا» و «آسيا الصغرى» فأصبحت مملكته بذلك أكبر المؤسسات السياسية التي ظهرت قبل الإمبراطورية الرومانية ، وواحدة من خبرة الدول التي اشتهرت في تباين التاريخ بحسن الإدارة وصلاح الحكم

وصورة «قورش» فيما أحاط به من قصص وخرافات ، تبديه لنا على أنه أحب الفاتحين وأقربهم إلى القلوب ، وأنه أقام مملكته على دعائم قوية من الكرم والسخاء . وقد عرف أعداؤه أنه لين العريكة فلم يحاربوه بروح الشجاعة المستيثة التي يبديها الرجال عند ما لا يجدون بدا من القتال أو الموت . ورأيناه كما ذكر «هروودوت» يخلص «كروزوس» من قبره في «سرديس» ويجعله واحداً من أشرف مستشاريه ، ورأيناه أيضاً يعامل اليهود معاملة كلها كرم وأحسان .

وأول قاعدة قامت عليها سياسته هي أن يترك الشعوب المختلفة التي تتكون منها إمبراطوريته حرة مطلقة في اختيار العبادة الدينية التي يشاؤونها والمعتقدات التي يرونها ، ولا شك أنه أدرك تمام الإدراك أهمية هذه القاعدة الأولى من قواعد السياسة التي تقول بأن الدين أقوى أثراً وأبعد نفوذاً من تأثير الدولة والحكومة ، ولم يقدم أثناء حياته على تحطيم المدن وتخريب المعابد ، بل على العكس من ذلك

أظهر كثيرا من العناية والاحترام لمعبودات الشعوب حتى خصصت له، وسامح بنصيب كبير في الإبقاء على الأضرحة والمعابد القديمة، حتى تعلق به « البابليون » أشد التعلق ، بعد ما قاوموه فترة طويلة ، لأنهم رأوه يعمل جاهدا على المحافظة على أمانتهم المقدسة ويكرم آلهتهم ومدافنهم . وكان من دأبه إذا نزل في بقعة من البقاع أن يقدم القرابين للآلهة المحليين ، حاله في ذلك حال « نابليون » الذي لم يضره أن يعترف بجميع الأديان والمذاهب ، بل ربما فاقه في أساليبه فأرضى جميع الآلهة وفاز بمحبتهم أجمعين . وقد شابه « نابليون » أيضا في مسألة أخرى ، هي موته . مثله نتيجة لكثرة أطعمته وبعد أمانيه ، فبعد ما استولى على « الشرق الأدنى » برمته أقسم على سلسلة من المعارك أراد بها أن يخلص « ميديا » و « فارس » من تدخل القبائل البدوية البربرية التي كانت تعيش في أواسط آسيا ، ويبدو أنه وصل في حملاته هذه إلى شواطئ « جيحون » شمالا وإلى حدود الهند شرقا ، ولكنه قتل فجأة وهو في أوج مجده عند ما كان يحارب ال « مساجية » وهم قبيلة مجهولة الأصل كانت تعيش على الشواطئ الجنوبية لبحر قزوين . وشابه قورش الاسكندر أيضا فتحه مثله من أن يفتح امبراطورية واسعة الأرجاء لم يعيش ليتعدها بالتنظيم والتنسيق .

وشابت أخلاق « قورش » نقيصة كبيرة ، تمثلت فيما كان يبدية أحيانا من قسوة زائدة وغلظة بالغة ، وقد ورث هذه النقيصة ، دون غيرها من شيم الكرم والسخاء ، لابنه « قبيز » فكان أول ما فعله هذا الابن الشاب أن أمر بإعدام أخيه ومنافسه « سمرديس » ثم أغرتة ثروة مصر وغناها فطمع في أن يمد حدود امبراطوريته الفارسية لتشمل على شواطئ النيل ، ونجح في ذلك

فعلاء ولكن نجاحه على ما يظهر كان باهظ التكاليف والتنفقات ، إذ أدّى به إلى فقدان الصواب وضباع الوعي والتمييز ، ذلك لأنه عندما استولى على « ممفيس » بسهولة زائدة ، أغراه ذلك النصر اليسير على أن يرسل جيشاً قوامه خمسون ألف فارس إلى واحة آمون ليضمها إلى حوزته ، ولكن هذا الجيش هلك برمته في الصحراء ، وأرسل بعثة تجارية أخرى إلى « قرطاجنة » أخفقت فيما كلفت به لأن بحارة الأسطول الفارسي كانوا جلمهم من الفينيقيين ، فرفضوا أن يباحوا هذه المستعمرة الفينيقية . وقد نتج عن ذلك كله أن فقد « قبيز » صوابه وتناسى كل ما عرف عن أبيه من رحمة واعتدال ، فبدأ يظهر احتقاره علناً لديانة المصريين وأمسك بخنجره في ازدراء وامتهان فطعن به العجل الذي يقده المصريون ويعتبرونه إله « أبيس » وأخرج المومياءات من مداقبها ونشش المقابر الملكية دون أن يهتم بما وراءها من لعنات قديمة ، وشفع ذلك كله باحتقار المعابد وإحراق ما فيها من أصنام وتماثيل وقد بدا له أنه يستطيع بذلك أن يشقى المصريين من خرافاتهم ولكن المرض سرعان ما أصابه ، واتتابته فيما يظهر علة الصرع فاعتقد المصريون اعتقاداً جازماً أن أكلتهم قد انزلوا به ما يستحق من لعنة وعقاب ، وأن دينهم قد سلم بعد هذه الحقنة من كل شك وجدال . . . ! ! وكأنما شاء قبيز مرة أخرى أن يبدى مساوئ الملك ، فجمع جموعاً بابليونية وأقدم على قتل اخته وامراته « روكسانا » ، وأردى ابنه « بركسانيس » برمية سهم من قوسه ، وأمر بأثنى عشر رجلاً من نبلاء الفرس قد فتقوا على قيد الحياة ، وحكم بالاعدام على « كروزوس » ثم ندم على فعلته ، وسرّ سروراً شديداً عند ما علم أن حكمه لم ينفذ فيه وبادر باستبدال هذا الحكم فأمر بمعاينة الضباط الذين تأخروا في تنفيذه . . . ! ! ووصله الخبر أثناء رجوعه إلى

«فارس» ان أحد المدعين قد استولى على عرشه، وأن الناس يؤيدونه بشورة شاملة فاختفى منذ ذلك الوقت من صفحات التاريخ، وقالت الروايات المتناقلة عنه أنه أقدم على قتل نفسه.

أما المطالب بالعرش فقد ادعى أنه «سمرديس» وأنه قد نجا بأحجية من شر أخيه «قبيز» ولم يكن هذا المطالب في الحقيقة إلا متعصبا دينيا من أتباع المذهب المجوسي القديم كان يسعى إلى تحطيم الديانة «الزردشتية» التي أصبحت الدين الرسمي للدولة الفارسية، وقد تلت ذلك ثورة أخرى أدت إلى عزله وإقصائه وانتخب النبلاء السبعة الذين نظموا هذه الثورة واحدا من بينهم هو «دارا» ابن «هشتاسب» فنصبوه على العرش، وبهذه الطريقة الثورية التي أدت إلى سفك كثير من الدماء بدأ عهد «دارا» أكبر ملوك الفرس وأعظمهم شأنا.

ومن الملاحظ أنه يقترن عادة بولاية العرش في الممالك الشرقية قن كثيرة في القصور الملكية، يسعى بها أصحابها إلى الاستيلاء على السلطة. وكذلك ثورات في المستعمرات التي تسببها الفرصة أثناء ذلك الاضطراب والفساد أو أثناء وجود الحاكم المستضعف لكي تعمل على استرداد حريتها واستقلالها. وقد مهد إستيلاء «سمرديس» على العرش، ثم مقتله بعد ذلك، فرصة سانحة للحكام التابعين لفارس، فأخذ حكام مصر وليبيا يرفضون الخضوع لها، وثارت عليها في وقت واحد ولايات كثيرة منها «سوزيانا» و«بابل» و«ميديا» و«آشور» و«ارمينيا» و«ساكيا». ولكن «دارا» أسرع إلى أخضاعها جميعا في شدة وحزم، فحاصر «بابل» فترة طويلة، فلما تم له الاستيلاء عليها أمر رجاله أن يصلبوا ثلاثة آلاف رجل من خيرة رجالها حتى يصبحوا عبرة للبلاد الأخرى فتبادر إلى

تقديم الخضوع والتسليم ، واتباع ذلك بسلسلة من المعارك السريعة كان لها الفضل في تهدئة الولايات النائرة واحدة في أثر الأخرى . ولقد أدرك عند ذلك أنه من السهولة بمكان أن تصاب الامبراطورية الواسعة بأزمة من الأزمات فتتمزق أوصالها في سرعة ويسر ، فطرح أسلحة الحرب جانبا وأصبح بعد ذلك من أعقل الحكام الذين ورد ذكرهم في التاريخ ، واشتغل جاهدا في تنظيم مملكته على نسق أصبح المثال الذي يحتذى للتنظيم الامبراطوري حتى وقت سقوط روما . وكان لحكمة الفضل في إعطاء الأقطار القريبة من آسيا فترة من الرخاء والنظام لم تعدها من قبل حينما كانت تزخر بالفن والثورات ، واصبحت جل أمانيه أن يحكم بقية أيامه في هدوء وسكون . ولكن القدر كتب على الامبراطوريات أن تكون مباءة للحروب الدائمة والفن المتصلة ، ذلك لأن الشعوب التابعة لها يجب أن تغلب على أمرها من جديد بين الفينة والفينة ، ولأن الفزاة يجب أن يحافظوا على عاداتهم وفنونهم التي عرفوها أثناء الحرب والقتال ، ولأن الأقدار قد تبعث في أية لحظة من اللحظات بامبراطورية جديدة تأخذ في منافسة الامبراطورية القديمة ومنازعتها السطوة والسلطان ، وفي هذه الحالة الأخيرة تسمى الامبراطورية القديمة إلى خلق الحروب إذا لم تنشأ من تلقاء نفسها لتدرب النشء على إحتمال المعارك بما فيها من قسوة وغلبة واستساغة للموت من أجل الوطن والامبراطورية .

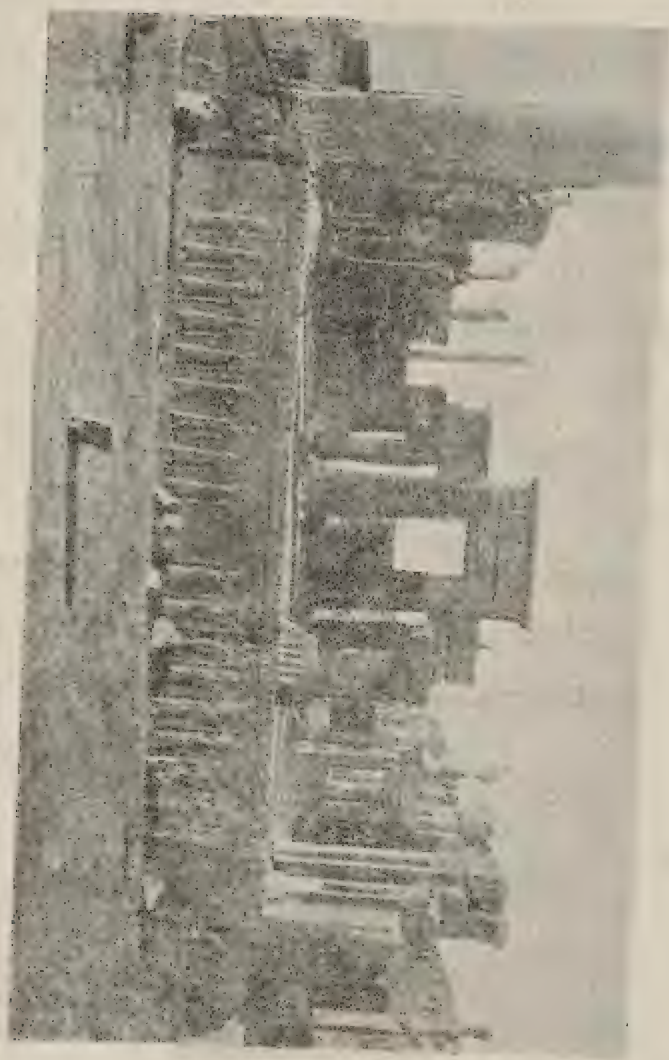
كان ذلك كله سببا من الأسباب الهامة التي دعت « دارا » إلى توجيه جيوشه إلى الولايات الجنوبية من روسيا فاجتازت البوسفور والدانوب والثولجا لكي يخضع قبائل « السيديين » المغيرين ، ثم انتقل بجيوشه مرة أخرى عبر افغانستان فاجتاز السلاسل الجبلية في وادي السند ، واستطاع ان يضم إلى

حوزته كثيرا من الاقطار الشاسعة الزاخرة بالانفس والدنانير .

فأما حلتها على اليونان فيجب أن نلتبس لتبريرها أسبابا أخرى أخطر من تلك التي ذكرناها . وقد شاء « هرودوت » أن يوحى لنا بأن « دارا » قد أقدم على هذه الخطوة التاريخية الخطأنة بسبب واحدة من نساؤه « أتوسا » ضايقته بذكر اليونان أثناء اضطجاعها إلى جواره في مرقده . ! وربما كان من الأجدر بنا أن نعتقد أن هذا الملك وجد في المدن والمستعمرات اليونانية كل المقومات التي تساعد على نشوء امبراطورية حقيقية أو إيجاد حلف فعلي يهدد سيادة الفرس في غرب آسيا ، فلما تارت « أيونيا » وجمعت إلى نيجنتها « اسبرطة » و « أثينا » اضطرت « دارا » إضطرارا إلى الحرب والقتال . ولنا شك في أن العالم بأجمعه يعرف قصة اجتيازه لبحر « ايجه » وكيف باء بالهزيمة في موقعة « ماراثون » وكيف عاد كسيرا إلى فارس حيث حاول مرة أخرى أن يعدد المعدات الوفيرة للغارة على اليونان من جديد، ولكنه أصيب بضعف مفاجئ قضى على حياته .



مقبرة قوروش في « بازارجادة » المعروفة في الفارسية باسم « تخت مادو سلجاني »



بقايا بعض القصور الملكية في مدينة أريستو ليس

الحياة الفارسية

الامبراطورية ، الشعب

اللغة ، الفلاحون

الطرق والمواصلات

التجارة والصناعة

بلغت الامبراطورية الفارسية أوسع حدودها في عهد « دارا » فكانت تشمل على عشرين ولاية أو إمارة من بينها « مصر » و « فلسطين » و « سوريا » و « فينيقيا » و « ليديا » و « قريجية » و « ايونيا » و « كبادوسيا » و « سيليسيا » و « أرمينيا » و « آشور » و « القوقاز » و « بابل » و « ميديا » و « فارس » و « أفغانستان » و « بلوچستان » و جزء من « الهند » يقع غرب نهر السند و بلاد « الصفد » و « بكتريا » و بلاد « المساجينه » و قبائل أخرى من أواسط آسيا . ولم يسجل التاريخ أن مثل هذه المساحات الشاسعة قد خضعت من قبل لحاكم واحد وحكومة واحدة .

في ذلك الوقت لم تكن « فارس » التي حكمت أربعين مليوناً من الأنفس هي نفس المملكة التي نعرف لنا الآن بهذا الاسم ، وتعرف لدى سكانها باسم « ايران » ، بل كانت عبارة عن مساحة صغيرة من الأرض ، تقع مباشرة شرق خليج الفارسي ، وتعرف لدى قدماء الفرس باسم « پارس » ولدى الفرس الحاليين باسم « فارس » أو « فارسستان » . وهذه الولاية مكونة في أغلب أجزائها من الجبال والمصحارى وتفترق إلى الأنهار ومجارى المياه ، وتعرض لبرد الشتاء القارس

وحر الصيف اللافتح (١) ومن أجل ذلك كله لم تكن مواردها كافية لتغذية
سكانها الذين بلغوا مليونين من الألفى إلا بما كانت تجلبه إليها التجارة أو
الغزوات من مساعدات خارجية . وسكانها رجال جبليون أشداء ، يرجع أصلهم
كليلدين إلى العنصر الهندى الأوروبى ، وربما أتوا إليها من جنوب روسيا . وفى
لغتهم وديانهم المبكرة كثير من الدلائل التى تثبت وجود العلاقة الوثيقة التى
تربطهم بجماعة الآريين الذين اجتازوا أفغانستان ووصلوا إلى شمال الهند
وأصبحوا هناك الطبقة الحاكمة من أصحاب النفوذ والسلطان . وقد وصف
« دارا الأول » نفسه فى « نقش رستم » بأنه : « فارسى بن فارسى وأرى من
سلالة الآريين » . وتحدث الزردشتيون عن موطنهم الأول فأسموه « آريانا فيجو »
أى موطن الآريين (٢) واستعمل « سترابو » كلمة « آريانا » فى نفس المعنى
الذى تستعمل فيه الآن كلمة « إيران » .

وكان الفرس فيما يظهر أجل الشعوب التى سكنت بلاد الشرق الأدنى فى
أقدم الأزمنة ، فقد صورتهم القماثيل فى صور رجال يمتازون باعتدال القامة وقوة
الهامة ، قد اكتسبوا من جبال بلادهم ما عرفوا به من قوة وصلابة ، كما أكسبهم
نراؤهم كثيراً من التهذيب والكياسة ، فصارتهم متناسقة تناسقاً جميلاً ، وأنوفهم
مستقيمة كأنوف اليونان ، وعليهم سمات النبيل وطيب الأرومة ، اقتبسوا من
الميديين ملابسهم ، ثم أخذوا عنهم أيضاً أنواع الخلى وأدوات الزينة . وكانوا

(١) يقول « سترابو » أن الصيف فى مدينة « السوس » خارجة حتى أن الحيان
والأفاعى لا تستطيع أن تهرب الطريق من إحدى ناحيته إلى الأخرى ، لأن حرارة الشمس المنقطة
تحرقها وتقضى عليها فى الحال .

(٢) يعتقد الكثيرون أنه عبارة عن أقليم « آران » على نهر الأراك .

يعتبرون الكشف عن شيء من الجسد غير الوجه مما يتنافى مع قواعد الحشمة والأدب، ومن أجل ذلك فقد كانوا يغطون أنفسهم من قمة الرأس، يتوجونها بالعمامة أو القبعة، إلى أخمص القدم يكتونها بالأحذية أو الأخفاف، وكانوا يرتدون سراويل مثلثة الطبقات وقيصاً من الكتان الأبيض ولباساً من طبقتين تمتد أكتافهما حتى تغطي السواعد والأيدي، ويعقدون على وسطهم زئاراً يشدونه عليها شداً رقيقاً، فكانت هذه الملابس تضمن لهم ما يشاءون من دفء في الشتاء أو ظراوة في وقت الصيف. أما ملابهم فكان يتميز عن سائر شعبه بارتداء السراويل المطرزة ذات اللون القرمزي والأحذية ذات الأزوار المصفرة في لون الزعفران. ولم تكن ملابس النساء تختلف عن ملابس الرجال في شيء إلا في اشتغالها على فتحة مستطيلة عند الصدر، وكان من عادة الرجال أن يطيلوا ذقونهم وأن يعقنوا صدورهم في ضفائر مجدولة، ثم استعاضوا عن ذلك في العصور المتأخرة برؤوس مستعارة من الشعر.

وكان الرجال والنساء في أسعد أوقات الامبراطورية يكثران استعمال أدوات التجميل ومساحيق الزينة، فاستعملوا الزيوت العطرية لتجميل البشرة وتصفيتها من الأوساخ، والأصباغ لصبغ الجفون حتى تبدو الأعين واسعة ناصعة، ونشأت من بينهم طبقة من الناس أسماهم اليونان «كوزمتاي» أي «المزينين»، اختلفوا بتجميل طبقة النبلاء والأرستقراطية. وكان الفرس بالإضافة إلى ذلك خبراء في الروائح والطور حتى راج بين القدماء أنهم اخترعوا بعض مساحيق الزينة والأدهنة، ولم يحدث أن خرج ملكهم قط إلى الحرب دون أن يحمل معه حقيبة زيوته العطرية، يتعطر بها على السواء في أوقات النجاح والظفر أو في أوقات الخيبة والفشل.

وقد تداولت في فارس كثير من اللغات أثناء العصور التاريخية التي مرت عليها، فكان حديث القصر والخاصة في أيام « دارا الأول » عبارة عن « الفارسية القديمة » وهي لغة قريبة الصلة جداً باللغة « السنسكريتية » حتى يبدو لنا في وضوح أنهما كانتا في وقت من الأوقات لغتين متقاربتين تشعبتا من لغة واحدة قديمة هي والفارسية القديمة من أبناء عمومة اللغة الإنجليزية الحالية (١). ثم تطورت اللغة الفارسية القديمة وانشعبت إلى شعبتين الأولى منهما « الزند » وهي عبارة عن لغة الـ « زند أشتا » والثانية « البهلوية » وهي عبارة عن لغة هندية أوروبية نشأت منها اللغة الفارسية الحديثة .

ومنذ تعلم الفرس الكتابة استعملوا في قروشهم الخط المساري البابلي ، كما استعملوا في كتابة وثائقهم الحروف الآرامية . وقد بسطوا المقاطع البابلية الكثيرة، وأقصوها من ثلثمائة مقطع إلى ستة وثلاثين، ما زالت تدرج في تطورها حتى أصبحت حروفاً يشتمل عليها هجاؤهم المساري .

(١) فيما يلي أمثلة للمشابهة بين هذه اللغات

الفارسية القديمة	السنسكريتية	اليونانية	اللاتينية	الألمانية	الإنجليزية
pitar	pitar	pater	pater	Vater	father
nama	nama	onoma	nomen	name	name
napat	napat	anepsios	nepos	nefe	nephew
bar	bhri	terein	ferre	föhren	bear
matar	matar	meter	mater	mutter	mother
bratar	bhratar	bhrater	frater	bruder	brother
sta	stha	istemi	sot	stehen	stand

وكانت الكتابة لدى الفرس تعتبر من المتع المحشة التي لا يجدر بالرجل أن يصرف فيها شيئاً من وقته الذي يجب أن يقضيه بأكمله في الحُب والحرب والصيد . ومن أجل ذلك لم يرق للفرس أن يتواضعوا قليلاً حتى ينتجوا شيئاً من الآداب العالية الرقيقة .

وكان الرجل العادي أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، وكان يبذل كل جهوده في الزراعة وغرس الأرض . وقد رفعت « الزند أفتسا » قدر الزراعة وجعلتها أشرف المهن الانسانية على وجه الاطلاق وأكثرها إرضاء لـ « أهورا مزدا » إلههم الأكبر المتعالى . وكان جزء من الأرض يقوم على زراعته ملائكة الفلاحون ، فتجتمع عائلاتهم أحياناً وتنضوي في تعاون زراعى يهدف إلى زراعة ما يملكون من أراض واسعة ومساحات كبيرة ، وكان جزء آخر من الأرض يمتلكه نبلاء من أصحاب الاقطاعات ، يقوم على زراعته القاطنون به لقاء جزء يدفع اليهم من المحصول ، وقد يقوم على زراعة العبيد والأرقاء الذين يجلبون اليه من الخارج (١) ، وكانت النيران تجر الحارث ذات الأسلحة المعدنية الحادة ، وكانت طرق الري الصناعية تستعمل في جلب الماء من الجبال إلى الحقول والمزارع ، وكان الشعير والقمح هما المحصولين الأساسيين اللذين يعتمد عليهما السكان في غذائهم بالإضافة إلى ما يأكلون من لحم كثير وإلى ما يحتسون من شراب وخمور . وأثر عن « أفورز » أنه أمر بتوزيع الخمر على عسكره ، وأثر عن وزراء الفرس أنهم لا يقومون بأهم المناقشات والأعمال إلا وهم ثملين ، حتى إذا أصبح الصباح وزال عن الرؤوس تأثير السكاس والراح ، راجعوا قراراتهم وأنفذوا منها ما يشاءون .

(١) لم يكن بين الهيد أحد من أصل فارسي .

وكان شراب الـ «هوما» المسكر يقدم قربانا للآلهة ، وكانوا يمتدحون أنه يبعث في شاربيه روح الاستقامة والصفاء على عكس غيره من أنواع الأشربة التي لا تولد في الأنفس إلا الميل إلى العريسة وسرعة الغضب .

أما الصناعة فكانت قليلة الانتشار في فارس ، لأنها قنعت منذ البداية بأن تدع أهم الشرق الأخرى تمارس كافة الصناعات واكتفت بأن تشتري منها منتجاتها لقاء ما تقتضيه منها من خراج أو جزية . وأبدت فارس كثيراً من ضروب المهاردة والعبقرية في تهذيب الطرق وتحسين المواصلات ووسائل النقل ، فقام المهندسون في أيام «دارا الأول» ببناء الطرق الواسعة التي تربط بين عواصمها المختلفة ، ومن بين هذه الطرق طريق رئيسي يصل بين «السوس» و «سرديس» يبلغ طوله ألف ميل وخمسمائة ميل . وكانوا يضبطون مقاييس الطرق بالفراسخ ويقول هرودوت : « أن كل فرسخ رابع توجد إلى جواره المحطات الملكية وإلى جوارها الفنادق الرائعة » وكانوا يتوخون في اختيار الطريق أن يسلكوها في المناطق الآمنة السامرة بالسكان . وكانت تقف لدى كل محطة من المحطات جياد الذوبة على أهبة الاستعداد لنقل البريد ، وكانت جياد البريد الملكي تحتاز الطريق ما بين «السوس» و «سرديس» في نفس الوقت الذي يستغرقه الآن رتل من السيارات ، أي في أقل من أسبوع واحد ، بينما كان المسافر العادي في ذلك الوقت يحتاج على الأقل إلى تسعين يوماً لاجتيازها .

وكانوا يعبرون الأنهار الواسعة بواسطة القوارب ، ولكن المهندسين كانوا في وسعهم متى شاءوا أن يبنيوا القناطر والمعاير على نهر الفرات أو عبر البوسفور وأن يجعلوها من المثانة بحيث تعبر عليها مئات الأفيال في أمن وسلامة تامتين .

وكانت هناك طرق أخرى تفتقر مفاوز أفغانستان إلى بلاد الهند وتجهل من مدينة « السوس » المركز الذي تلقى عنده الطرق ويجلب إليه الثراء الخرافي الذي اشتهرت به بلاد المشرق . وكانوا ينشئون الطرق أساساً لأغراض حربية وحكومية حتى يتيسر لهم بواسطتها تثبيت الحكم المركزي والاداري ، ولكن هذه الطرق ساعدت أيضاً على تشجيع التجارة وتبادل العادات والأفكار وكذلك المعتقدات والأخلاق التي لا يتغنى عنها الجنس البشري ، وقد انتقلت بواسطتها فعلاً فكرة الملائكة والشياطين من الأساطير الفارسية إلى القصص اليهودي والمسيحي .

أما الملاحة فلم تكن قد بلغت من التقدم ما بلغت وسائل النقل البري ، ولم يكن الفرس يملكون أسطولاً خاصاً بل كانوا يستعملون سفن الفينيقيين واليونانيين أو يستولون عليها لأغراضهم الحربية ، وقد حفر « دارا » قناة كبيرة تصل بين فارس والبحر الأبيض مخرقة البحر الأحمر والنيل ولكن خلفاءه أهملوا العناية بها وتركوها طعمة للرمال الدارية المتنفذة . وخرج « اكزسيس » على رأس جزء من أسطوله يريد أن يطوف حول إفريقيا ولكنه لم يلبث بعد اجتيازه « أعمة هرقل » أن عاد فاشلاً ثعلو وجنتيه حمرة الخجل والعار .

وكان الفرس يحثرون التجارة ويعتبرون السوق مباءة لتخلف الخدع والأكاذيب ، ومن أجل ذلك فقد تركوها للأجانب غالباً فأصبحت في أيدي البابليين والفينيقيين واليهود ، وكان الأغنياء يفتخرون باستطاعتهم قضاء حوائجهم بما يقبض في حقولهم أو يوجد في مخازنهم ، دون أن يضطروا إلى تلويث أصابعهم بعمليات البيع والشراء . أما الأموال وفوائد النسيئة فكانت في بداية

الأمر تدفع عينا من البضائع وخاصة المواشى والمحجوب، ولم يستعملوا النقد إلا في عصور متأخرة عندما استعاروه من « ليديا » وقد أصدر « دارا » قطعاً من الذهب والفضة عليها صورته تعرف باسم الـ « دريق » (١) وكانت قيمة القطعة الذهبية منها تقوم إلى قيمة القطعة الفضية بنسبة ١٣ر٥ إلى ١ . ومن هنا كانت نشأة النسبة بين هذين المعدنين في المعاملات النقدية الحديثة .



« قورش » مؤسس الأميرة « الأكينية »

(١) هذه الكلمة لاحقة لها باسم « دارا » وهي من كلمة « دريق » الفارسية ومعناها عملة من الذهب وقيمة القطعة الذهبية منها كانت تبلغ قيمة دولارات ، وثمان مائة ألف منها كانت تزن من الفوسيا .

تجارب الحكم والإدارة

الملك : النبلاء ، الجيش
القانون ، عقوبة وحشية
فوز في الإدارة

قامت حياة فارس على السياسة والحرب أكثر مما قامت على المال والاقتصاد ، ولم يكن عماد ثروتها يقوم على الصناعة ، وإنما كان يقوم على القوة والسلطان ، ومن أجل ذلك كان كيائها شبيها بكيان الجزيرة الحاكمة تعتمد على ما حولها من بحار شاسعة تدفن لها بالخصوع والولاء . أما طريقة التنظيم الإداري التي حافظت على هذا البناء فكانت من أحكم الطرق وأبدعها على مر التاريخ . كان الملك يقوم على رأس هذا البناء ويعرف باسم « خشائرا » أي المحارب (١) وهو لقب يدل على الأصل الحربي وعلى الصفة الحربية في نشأة « الملكية الفارسية » . وكان جماعة من الملوك الضعفاء يدينون للحاكم الفارسي بالطاعة ، ومن أجل ذلك فقد فضل أن يلقب نفسه بلقب « ملك الملوك » ولم يصادف شيئا من الاحتجاج على دعواه هذه من قطر من أقطار العالم القديم إلا ما كان من اليونان الذين اكتفوا بتسميته باسم « بازليوس » أي الملك . وكانت سلطته نظريا استبدادية ، تكفي الكلمة الواحدة تصدر من فمه ليقول الرجل دون أية محاكمة أو إبداء

(١) هذه الكلمة مازالت مستعملة حتى اليوم في تسمية ملك فارس فهو يعرف باسم « شاه » ونهايتها واضحة في كلمة « ستراب » « Satrap » بمعنى حاكم إقليم في فارس وكذلك في كلمة « كشائريا » بمعنى الطبقة الحاربة في بلاد الهند .

ما يبرر ذلك، وكان الملك أحياناً أن يمنح هذا الحق لأمه أو لكبيرة زوجاته
فقتل من شاءت في زهو وإسفاف. ولم يكن في إمكان أحد أن يجرد على نقد
الملك أو لومه على أي عمل من الأعمال اللهم إلا إذا استثنينا عدداً قليلاً جداً
من أكبر نبلائه. وكان الرأي العام ضعيفاً غاية الضعف يشهد الخرس والحذر.
فاذا قتل الملك طفلاً بريئاً أمام أعين أبيه كان على الأب أن ينيء الملك على
إحكامه الزمائية وإصابة الهدف...!! وإذا أمر الملك بجلد جماعة من المذنبين
كان عليهم أن يشكروه لأنه يتولاهم بعنايته ولا يجرمهم من رعايته...!!
وكان من حق الملك أن يتلك، كما كان له أن يحكم فعلياً إذا شاء أن يكلف
نفسه بعض الجهد والعناء كما فعل « قورش » و « دارا الأول ». ولكن الملوك
المتأخرين وكلوا أمر الحكم لجماعة من أتباعهم النبلاء أو من خصيان القصور
واكتفوا بقضاء حياتهم في الحب والنرد والصيد. وكان الخصيان يديرون شؤون
القصر فيوكل إليهم الإشراف على الخريم وتأذيب الأمراء، فاستطاعوا بهذه الميزة
التي اختصوا بها أن ينفعوا نقيماً سلباً من القن والدسائس في كل عصر
من العصور^(١).

وكان للملك أن يختار ولي عهده من بين أبنائه، ومع ذلك فقد ظلت وراثته
العرش في أغلب الأحيان عرضة لما تقرره الثورات والعن. ولم يكن يحده من سلطة الملك عملياً إلا قوة الطبقة الأرستقراطية التي تتوسط
بين الشعب والعرش، وقد جرت العادة على أن يمنح الملك كثيراً من الحقوق

(١) كانت « بابل » تبيت سنوياً بجمعيات من خصيان الفتيان ليقوموا بالخدمة والحراسة
في الحرم الإيراني.

والميزات الاستثنائية لأفراد القبائل الست التي اشتركت مع « دارا الاول » في تعريض نفسها لمخاطر الثورة ضد « سمرديس الكاذب » فكانوا يستشيرونهم في جميع الأمور الهامة ذات الخطر . وكان كثير من النبلاء يزورون القصر ويستغلون بتدبير أمور الملك ، وكان الملك يحمدهم مشورتهم ويوليها كثيراً من عنايته . وكان أغلب رجال الطبقة الأرستقراطية يدينون العرش بالولاء والإخلاص ، لأن الملك هو الذي يقطعهم الاقطاعات والولايات في مقابل أن يمدوه بالرجال والمعدات إذا اقتضى الأمر دخوله في معارك الحرب وحومات القتال ، وكانوا يتمتعون في إقطاعهم بالسلطة التامة التي تفول لهم جمع الضرائب وسن القوانين وإنفاذ الأحكام والإشراف على القسوات المسلحة التي تحت إمرتهم .



وكان العناد الحقيقي للسلطة الملكية والحكم الامبراطوري قائماً على الجيش ، شأنهم في ذلك شأن سائر الامبراطوريات . تستطيع المحافظة على كيئها مادامت قادرة على المحافظة على قدرتها العالية في القتل وسفك الدماء ، فأصبح من الواجب على كل ذكر سليم الجسم بين الخامسة عشرة والخمسين من عمره أن ينضم إلى الصفوف ويشارك في القتال متى أعلنت الحرب في أي وقت من الأوقات . وقد ذكروا أن أحد الآباء كان له ثلاثة أبناء فسأل « دارا » أن يعفى واحداً منهم من الخدمة العسكرية فأمر « دارا » بإعدامهم جميعاً في التو والساعة . وأرسل والد آخر أربعة من أبنائه إلى ميدان القتال والنس من « اكزرسيس » إعفاء الخامس وتركه للقيام بأعباء أسرته فصدر الأمر الملكي بشق جسده إلى

نصفين وتعليقهما على تاحيق الطريق الذي كان على الجيش أن يسلكه . وكان
الجند يخرجون إلى القتال في جلبة الموسيقات الحربية الصاخبة وتهليل الأهلين
الذين تخطوا سن الحرب والقتال .

وكان « الحرس الملكي » يقوم على رأس الجيش ، وكان قوامه ألفين من
الفرسان والغبين من المشاة . جميعهم من نبل القوم وسادتهم ، وقد اقتصروا بأمر
واحد هو حراسة الملك والحفاظ على سلامته . أما الجيش الأساسي فكان
يتكون برته من « الفرسان » و « الميدين » وكانوا ينتخبون من هؤلاء وحدهم
العمليات التي يبعثون بها لصيانة الأمن والنظام في الأنحاء الحربية الهامة من أنحاء
الامبراطورية . أما الجيش الكامل فكان يتكون بالإضافة إلى هؤلاء من فرق
مختلفة تبعث بها الشعوب الخاضعة ، وكانت كل فرقة من هذه الفرق تختلف عن
سائر زميلاتها وتحفظ بلمتها الخاصة وأسلحتها الخاصة وطرقها الحربية الخاصة ،
ومن أجل ذلك فقد أصبح هذا الجيش المختلط مختلف المدة والعتاد والتنظيم
وفقا لاختلاف أصله وتكوينه ، فهناك القسي والسهام والسيوف والحراب ، وهناك
الخنجر والنصال والمجانيق ، وهناك المدي والدروع والخوذات وألبسة الحديد ،
وهناك الخيل المائجة والأفيال المائجة ، وهناك الرسل والجواسيس والكتاب ،
وهناك الخصيان والعاهرات والسراري ، وهناك العجلات الحربية قد ركبت على
دواليبها المناجل الفولاذية العريضة القاطمة . وكان عدد هذا الجيش كبيرا جدا
حتى قيل إنه بلغ في إحدى حملات « أكرزيس » ١٨٠٠٠٠ رجل . ومن
أجل ذلك انضمت الوحدة في صفوفه إنهاما كاملا بحيث كانت تكفي
البادرة الأولى من بوادر الفشل لينقلب هذا الجيش الزاخر إلى جموع هائلة

من الغوغاء لا يبرعون نظاما ولا يأتقرون بأسرا ، ولم يكن يساعده هذا الجيش على الغزو إلا كثرة عسده ومقدرته على استيعاب القتلى الذين يستقلون في ميادين القتال ، فإذا صادفه جيش حسن التنظيم موحد اللغة والقيادة فلا مفر من أن يلقى على أيديه تهويته العاجلة ، كما كان الحال في الوقعتين المعروفتين « ماراثون » و « بلاطيه » .



في مثل هذه الأحوال لم يكن « القانون » إلا ماتمليه إرادة الملك وقوة جيشه . وكل حق يقف في وجه هذين العنصرين كان حقا مضيقا مغلوبا على أمره ، فلما السابقات والتقاليد التي جرى عليها العمل فلم تكن لتجدي نفعا إلا إذا كان مصدرها أمرا ملكيا خاصا . ومن دواعي الفخر التي تستطيع أن تفخر بها إيران ، أن قوانينها لم تتغير على الإطلاق وأن وعود ملوكها وأوامرهم لم يكن يمكن الرجوع عنها بحال من الأحوال ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الملك ملهم يستمد أحكامه من إله الخير « أهورا مزدا » بحيث انبئى على تلك الفكرة أن اعتبروا المشيئة الإلهية أساسا لقوانين المملكة ، وأن أية مخالفة لها ماهى في الحقيقة إلا اثم في حق الآلهة .

وكان الملك يتولى القضاء في أعلى مراتبه ، ولكنه كان في العادة يكل هذه الوظيفة إلى بعض الشيوخ المتقنين من حاشيته ، فكان يتلوها في مرتبة القضائية « محكمة عليا » تكون من سبعة من القضاء يتلوها في مرتبتها « المحاكم المحلية » الكثيرة التي تنتشر في أرجاء المملكة . وكان رجال الدين يضعون القوانين اللازمة لهذه المحاكم ، وقد ظلوا فترة طويلة يشتغلون بالقضاء وصياغة القوانين

وتنفيذ الأحكام ، حتى إذا وصلنا إلى المصور المتأخرة وجدنا جماعة من الرجال
المدنيين بل ومن النساء المدنيات يجلسون في كراسي القضاء ويصدرون الأحكام .
وكان الإفراج عن المتهم مقبولا في جميع الحالات ما عدا بعض الحالات الخطيرة
النادرة . وكانت طرق المحاكمة بعد ذلك تجري على نمط معروف منتظم ، وكان
للمحكمة في بعض الأحوال أن تأمر بمنح المكافآت كما تأمر بتوقيع العقوبات ،
وكان من دأبها عند تقديم أحد المدنيين للمحاكمة أن تقدم ما له من أعمال خيرة
وخدمات نافعة سابقة ، وقد تغلبوا على التعويقات والتأجيلات القضائية بتحديد
موعد أقصى لكل قضية من القضايا ، كما كان من عادتهم أن يقترحوا على
المتخصصين أن يختاروا « محكما » يحكم بينهم فيما هم فيه من نزاع حتى ينتهي الأمر
بينهم صلحا . ثم تعقد القانون وكثرت تقاليد فشأت بسبب ذلك طبقة من الرجال
عرفوا باسم « المتقنين في القانون » أخذوا على عاتقهم تفسيره للمتخصصين
ومساعدتهم على السير في قضاياهم . وكان من عادة المتخصصين أن يقسموا على أنهم
على حق فيما يتنازعون فيه ، كما كانوا في أحيان نادرة يفوضون أمرهم إلى الله أن يظهر
معجزته فيأخذ المسمى بحريته ويثيب المحسن على فعلته . وقد حاربوا الرشوة
فجعلوا تقديمها أو قبولها من أمهات الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام . وساعد
« قبيز » على رفع مكانة المحاكم عندما أمر رجاله أن يسلخوا قاضيا جائرا وهو على
قيد الحياة ، فلما مات أخذوا جلده فحشوه ، وجعلوه مقعدا يجلس عليه ابنه الذي
اختاره لينوب القضاء في مكانه .!!

أما العقوبات الصغيرة فكانت من قبيل الجلد الذي تتراوح عدد ضرباته
ما بين الخمس والمائتين ، يضربونها بسوط من سياط الخيل ، فإذا سم أحد كلبا

من كلاب الرعاة كان نصيبه مائتي جلدة ؛ فإن قتل إنساناً خطأ كان جزاؤه تسعين واحدة . وكانت موارد القضاء تعتمد جزئياً على ما يجبي من استبدال عقوبة الجلد بالغرامة والاستعاضة عن كل جلدة بست من « الروبيات » .
 أما الجرائم الكبرى فكان جزاؤها الوسم بالنار أو تمزيق الأوصال أو تقطيع الأعضاء أو سمل الأعين أو الحبس أو الموت . وقد حرم القانون بكافة نصوصه على أي شخص من الأشخاص بما في ذلك الملك أن يأمر باعدام فرد من الأفراد لجرم من الجرائم الصغرى ، فأما غير ذلك من الجرائم فيمكن صدور الحكم فيها بالاعدام كجرمة الخيانة الوطنية أو هتك العرض أو اللواط أو القتل أو تدليس النفس أو حرق الموقى أو دقهم في جوف الأرض أو التهجم على الملك في خلوته أو الاتصال بالحدى محظياته أو الجلوس مصادفة على عرشه أو الإساءة إلى أحد من أمراء البيت المالكي . وكانوا يعذبون المحكوم عليه بتجريمه جرعات من السم ، أو دق الأوتاد في جسده ، أو صلبه على الأعواد ؛ أو شقه وتعليق رأسه إلى أسفل ، أو رجمه بالحجارة ، أو دفنه إلى عنقه حياً ، أو سحقه بين حجرين عظيمين ؛ أو خنقه في رماد ساخن أو قتله بطريقة « الزوارق » التي لا يستطيع العقل الانساني أن يدرك غلظتها وقسوتها^(١) . وقد ورث غزاة الأتراك في عصور

(١) يقول « بلوطاوخ » أن الجندي « مترداس » اغتلت لسانه أثناء الشراب فأعلن أن أفضل فدية قتل « تورش الأصغر » في موقعة « كوناكسا » إنما يرجع إليه وحده دون الملك ، فأمر « ارتا كترسيس » الثاني بقتله بواسطة « الزوارق » على النهر الأدنى : وهو أن أعدهوا زهرتين متعاطرتين في البناء والحطب فيضون هذا الميعاد في واحد منها رافداً عن ظهره ثم يظفونه بالزهر في الأوتار يحكين الفلق على جسده داخل الزهرتين تاركين الرأس واليدين والقدمين خارجهما ثم يقدمون له الطعام فإذا رفضه وغرخوا عليه بالابر يضطروه إلى تناوله ، فإذا أكله أغرقوه بخزيج من اللبن والعسل يصبونه

متأخرة بعض هذه العقوبات الوحشية وتركها بدورهم إدنا للأجيال التي أعقبتهم
من بني البشر .



وقد استعان الملك بهذه القوانين التي ذكرناها وبجيوشه الذي وصفناه على
حكم ولاياته العشرين التي كان يدير شؤونها وهو مقيم في واحدة من عواصمه
الكثيرة . وكانت « يزارجاده » (١) أهم عواصمه ، وكان أحياناً يقيم في
« يرسبوليس » (٢) ، وكانت « اكباتانا » (٣) مقره في الصيف . كما كانت من
عواصمه مدينة « السوس » عاصمة العيلاميين التي تزخر بالسير الحافلة بتاريخ
الشرق الأدنى القديم بكامل حلقاته وسائر مقدماته ونهاياته ؛ وكانت تمتاز
بصعوبة الوصول إليها ، ولكن بعد الشقة بينها وبين سائر البلدان كان يعتبر من
ناحية أخرى من جملة نقائصها ومعييبها ؛ وقد اضطرت « الاسكندر » في
الآزمنة القديمة إلى أن يقطع ألفين من الأميال ليبلغها ويأخذها ، ولكنها أيضاً
كانت مضطرة كذلك إلى أن تسير جيوشها مسافة ألف ميل وخمسمائة ميل

== في ذه وهي سائر وجهه ، ويدبرونه صوب الشمس دائماً حتى تغطيه أسراب الذباب التي
تحوط عليه ، فإذا أتى في داخل الزورقين بما يجب أن يأتيه كل من يأكل ويشرب ، وأخذت
هذه الفضلات في التعفن والفساد نشأت من بينها مجموعة من الديدان والهوماء تأخذ في الدخول
إلى أحشائه حتى تقف جسده . فإذا مات رفعوا الزورق الأعلى فوجدوا له قد نهشته هذه
الديدان الكبيرة ذات الطنين العجيب التي تسرع في ذلك الوقت إلى الدخول إلى جوفه
وأحشائه . وقد قابى « مئردانس » هذه الميته الشنعاء سنة عشر يوماً كالة حتى هلك .

(١) المترجم : هذه المدينة تعرف في الفارسية باسم « تحت مادر سليمان »

(٢) المترجم : هذه المدينة تعرف في الفارسية باسم « تحت جشيد »

(٣) المترجم : هذه المدينة هي المعروفة في الكتب الإسلامية باسم « همدان »

لتخمد الثورات الناشئة في « ليديا » وفي « مصر ». وقد ساعدت أمثال هذه الطرق العامة على تمهيد السبيل لليونان والرومان ، فتمكنوا من غزو الأنحاء القريبة من آسيا غزوا عملياً ، ولكن سكان هذه الأنحاء بدورهم تمكنوا من غزو اليونان والرومان من ناحية أخرى غزواً فقيهاً روحياً .

وكانت الامبراطورية مقسمة إلى مقاطعات أو ولايات ليسهل إدارتها وسبابة الخراج منها ، وكان « ملك الملوك » ينوب عنه في كل ولاية من هذه الولايات اميراً خاضعاً لسلطانه او حاكماً يعرف باسم « سترب » يختاره الملك فينصبه حاكماً على الولاية مادام حائزاً على رضاه . ولكي يضمن « دارا » ولاء هؤلاء الحكام ، كان من عادته ان يرسل قائداً إلى كل ولاية من هذه الولايات يجعل إليه وحده دون الحاكم السيطرة على القوات المسلحة فيها ، كما كان من دأبه ، لكي يثق كل الثقة من ولاء هذين الرئيسين ، أن ينصب على كل ولاية « دبيرا » من قبله يجعله مستقلاً عنهما ويجعل من وظيفته إرسال التقارير إلى الملك عن مسلكهما وأعمالهما . واتخذ الملك بعد ذلك كله إجراءً تحفظياً أخيراً ، فأنشأ ضرباً من قلم المخابرات السرية يعرف رجاله بـ « عيون الملك وآذانه » ، كان لهم أن يقصدوا في أي وقت من الأوقات إلى أية ولاية يشاءونها ليفحصوا أمورهم وسجلاتهم وأعمالهم . وكان الحاكم يعزل أحياناً دون أن يقدم للمحاكمة ، كما كانوا يتخلصون منه أحياناً في هدوء وسكينة بأن يفسدوا له السم على أيدي الخواص من خدمه بناء على أمر يصدر لهم من الملك . وكان الحاكم والدبير يتبعهما جمع من السكتية يقومون بأعمال الحكومة العادية التي لا تحتاج إلى شيء من القوة أو العنف . وكان هؤلاء ينتقلون من إدارة إلى أخرى ، ويبقون في مناصبهم حتى ولو تغير الملوك ، لأن الملك يموت ولكن البيروقراطية خالدة لا يدرکہا الموت او الزوال .

ولم يكن الملك هو الذى يدفع رواتب هؤلاء الموظفين المنتشرين فى أنحاء ولاياته المختلفة، ولكن كان يقوم على دفعها سكان الولاية التى هم فيها، وكانت هذه الرواتب سخية كل السخاء، يستطيع الحاكم بفضلها أن يزود نفسه بالتصور الفخمة والنساء الكثيرات وأما كن الصيد الواسعة التى أسمأها الفرس منذ أقدم الأزمنة بـ « جنات الخلد ». وفيما عدا ذلك كان لزاما على كل ولاية أن ترسل إلى الملك سنويا قدرا محدودا من التقود والأموال على سبيل الخراج، فكانت الهند ترسل ٤٦٨٠ وزنة^(١)، وآشور وبابل ١٠٠٠ وزنة، وإمارات آسيا الصغرى الأربع ١٧٦٠ وزنة... وهكذا حتى بلغ مجموع ما يجبى سنويا من سائر الولايات ١٤٥٦٠ وزنة. يقدرون قيمتها حاليا بمبلغ يتراوح بين ١٦٠٠٠٠٠٠٠ - و - ٢١٨٠٠٠٠٠٠٠ دولار. وكان من الواجب على هذه الولايات بالإضافة إلى ذلك كله أن تمد الملك بما يحتاج إليه من سائر اللوازم والحاجيات، فكانت مصر تمد بقمح يكفى لأطعام ١٢٠٠٠٠ رجل؛ وكان الميديون يمدونه بـ ١٠٠٠٠ رأس من الغنم، وكان الآرمن يمدونه بـ ٣٠٠٠ راجاجة، وكان البابليون يبعثون إليه بخمسائه من الفتيان الخصبين. وانضمت إلى ذلك كله مصادر أخرى للثروة أضيفت إلى ما يجبى من خراج، فتضخم الدخل العمومي تضخما كبيرا بحيث أن « الاسكندر » عندما استولى على العواصم الفارسية وجد فى الخزائن الملكية ١٨٠٠٠٠ وزنة تبلى قيمتها الحالية ٢٧٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار، وهذا القدر الطائل من المال هو الذى

(١) المترجم: قدروا قبة الوزن بما يقرب من ٢٣٥ جنيها، وقالوا ان زنتها تبلغ ستة آلاف درهم.

بقي بعد مائة وخمسين سنة من الاسراف والترف المعروفين عن الفرس ، و بعد مئات من الثورات والحروب التي كلفت الدولة الفارسية تمنا غالبا ، و بعد كل ما حمله « دارا الثالث » معه أثناء هربه مما بلغ على أقل تقدير ثمانية آلاف وزنة .

ومع ذلك فقد ظلت الامبراطورية الفارسية ، رغم تكاليفها الباهظة ، أكبر تجربة ناجحة للحكم الامبراطوري في دائرة البحر الأبيض المتوسط حتى ظهرت بعد ذلك « روما » وورثت كثيرا من أساليبها في السياسة والادارة . وقد توازفت فيها كفة القسوة والاسراف التي عرف بهما ملوكها المتأخرون وما كان يبدو أحيانا من غلظة في قوانينها وإبهاظ في جباية الخراج فيها ، بكفة النظام والأمن اللذين ساعدا الولايات على أن تثرى وتنتعش رغم ما ألقي عليها من أعباء وأثقال . كذلك ظفرت الشعوب الخاضعة لها بمدى واسع من الحرية لانكاد نصادف مثله إلا في أكثر الامبراطوريات رقيا وثقافة وعقلية ، فقد سمح لكل إقليم أن يستبقى لغته الخاصة وقوانينه وعاداته وأخلاقه وديانته وعملته ، بل لقد استطاع في بعض الأحيان أن يحتفظ بالأسرة الحاكمة فيه . وكانت كثرة من الشعوب الخاضعة للامبراطورية الفارسية كأهل بابل وفينيقيا وفلسطين راضين كل الرضا بحالهم ويرون أن هذا النظام الامبراطوري دون غيره هو الذي منع قادتهم وجباة الضرائب من استغلالهم وإرهاقهم .

وقد بلغت الامبراطورية الفارسية على عهد « دارا الأول » شأوا عظيما جعلها عنوانا للتنظيم السياسي الناجح الذي لم يكن له مثيل في الامبراطورية الرومانية إلا على عهد أباطرة قسطنطين مثل « تراجان » و « هادريان » و « النطونيوس »



« آهورا مریدا » کا سورہ علی الصغرة الطایفہ و مستون « بالترب من کر ما نشاء ہ وقف امر
و دارا ہ یعت هذه الثغور فی قہ الجبل عجیباً انزل لہ المرش سے ۱۶ ق ۰ م و بری فی نہایہ الطرف
الایمن من هذه السورة چندی من و السبایک »

زردشت

بعثة النبي ، الدين الفارسي قبل زردشت
كتاب الفرس المقدس ، أهورا مزدا
آلهة الخير والشر وكفاحهم للسيطرة على العالم

تحدثنا الأساطير الفارسية أن نبيا عظيما ظهر قبل مولد المسيح بمئات من
السنين في « حظيرة الآريين » المعروفة باسم « آريانا فيجو » ، وقد أسماه قومه
باسم « زَرَكْشْتَرَا » ولكن اليونان اقتصروا على تسميته باسم « زَرُوَأْسْتَر »
لأنهم لم يستطيعوا أن يتحملوا هذا الاملاء الطويل الذي وردت به اللفظة في لغة
« البرابرة » من الفرس . وكانت الفكرة التي أوحى به إلهية محضة ، جعلت
ملاك الحارس يتسرب إلى نبات اسمه « الهوما » فيختلط بعصارته ، وينفذ بعد
ذلك إلى جسد رجل من رجال الدين كان يقوم بتقديم الصدقات والقرايين .
فانبعث أثناء ذلك شعاع من أشعة « العظمة الالهية » ونفذ إلى صدر فتاة عريقة
المحتد كريمة الأرومة تزوج بها رجل الدين هذا ، فافتن بزواجهما الملاك الجبليس
في صدر الرجل بالشعاع الجبليس في صدر الفتاة ، ونتج عن اقترانهما « زَرَكْشْتَرَا »
وقد أخذ يقهقه عاليافى أول يوم ولده فيه ، حتى فرت من حوله في خوف وذعر تلك الأرواح
الشريرة العابثة التي تجتمع عادة حول كل ولادة حديثة . وقد امتاز هذا المولود
بحب عميق للحكمة والحق ، فاختار حياة العزلة والاعتكاف واتخذ جبلا موحشا عاش
فيه يقنت بالجلين وما تخرج الأرض من ثمر . وقد حاول « الشيطان » أن يفره
ولكنه أخفق في جميع محاولاته ، وشق صدره بالسيف وملاً جوفه بالفضة المصهورة

ولكنه لم يتأوه بالشكوى ، ولم يتزعزع عن عقيدته في « آهورا مزدا » إله النور وإله الآلهة وإله الأعلى القدير . وظهر له « آهورا مزدا » ووضع في يديه « الأشتا »^(١) كتاب المعرفة والحكمة ، وأمره أن ينشر التعاليم التي جاءت فيه بين سائر الناس ، فلما فعل ذلك ظل فترة طويلة والناس يتمكون به ، ويصيرون بكثير من السخط والأذى والبلاء ، حتى استمع له في النهاية في إعجاب وسرور أمير إيراني كبير اسمه « فشتاسب »^(٢) أخذ على عاتقه أن ينشر تعاليمه بين رعائيه . وبهذه الطريقة ولد الدين « الزردشتي » . . . وقد قدر لصاحبه « زرتشترا » أن يعيش حتى يبلغ أرذل العمر ، ثم أدر كته الوفاة في ومضة من ومضات البرق رفعتة إلى مدارج السماء .

ولسنا نستطيع الآن أن نبحث مدى ما ورد في هذه الرواية من صواب ، ولكن اليونان على كل حال قبلوا أن يعتبروه شخصية حقيقية تاريخية ، وزادوه شرفاً بأن نسبوه إلى زمن قديم يسبق زعمائهم بـ ٥٠٠ سنة ، وقد نسب « بيروسوس البابل » إلى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، ولكن المؤرخين المحدثين الذين يعتقدون في صحة وجوده تاريخياً لا ينسبونه إلا إلى فترة متأخرة عن ذلك ، تقع بين القرنين العاشر والسادس قبل الميلاد^(٣) .

وكان الميديون والفرس الأسبقون يعبدون قبل ظهوره الحيوانات والأجناد

(١) المزمع : يكتب هذا الاسم في الكتب الإسلامية « أوسنا » أو « الأشتا »

(٢) المترجم : يكتب هذا الاسم في الكتب الإسلامية هكذا : « فشتاسب » أو

« كشتاسب » .

(٣) إذا صح أن « فشتاسب » الذي قام بنشر تعاليم « زردشت » هو والد « دارا

الاول » فإن أقرب التواريخ احتمالاً هو التاريخ الأخير على ما يظهر .

والأرض والشمس عبادةً تصدر عن دين وثيق الصلة (فيما اشتمل عليه من آلهة
وتعاليم) بدين «الهندوس» في العصر الـ «ثيدى». وكان أهم الآلهة في
العصر السابق لظهور «زردشت» هو «مئرا» إله الشمس و «أناهيتا» إلهة
الخصوبة والأرض و «هاأوما» النور المقدس الذي أشفى على الموت ثم انبعث
حيّاً وسقى البشر دمائه ليكسبهم البقاء والخلود ؛ وقد ظل الإيرانيون السابقون
يعبدونه ، ويتناولون من أجله عصيراً مسكراً يستخرجونه من عشب «الهوما»
الذي يكثر على سفوح الجبال في بلادهم . وقد أسماه «زردشت» أشد الاستياء
عندما وجد قومه يعتقدون في هذه الآلهة البدائية وهذه المراسم الخرافية، فنار ضد
«المجوس» أو السكينة الذين كانوا يقومون بالصلاة لها وتقديم القرابين اليها
وأعلن للعالم في شجاعة منقطعة النظير أنه لا يوجد إلا إله واحد هو «آهورا
مزدا» إله «النور والسماء» ، وأن ما عداه من آلهة ما هي في الحقيقة إلا مظاهر
من صفاته . وربما أحس «دارا الأول» عندما اعتنق هذا الدين أنه دين
قوي بأن يوحى بعناصر الخير في نفوس شعبه ، و يبدور القسوة في شمل حكومته ؛
فأخذ على عاتقه منذ تولى العرش أن يحارب المذاهب القديمة الأخرى وكهنة
المجوس الأقدمين وأن يجعل «الزردشتية» وحدها المذهب الرسمي للدولة .

والكتاب المقدس الذي جاء به هذا الدين الجديد هو في الحقيقة عبارة عن
مجموعة من الكتب استوعبت ما جمعه تلاميذ هذا النبي من أقوال و صلوات ؛
وقد أسماها بعض أتباعه المتأخرين «الاقستا» . واشتبه الأمر على بعض العلماء

الحقّيقين فسوها خطأ بالـ « زنداڤستا » وأصبحت لذلك تعرف لدى الغربيين بهذه التسمية الخطاطفة^(١). وقارىء هذه الكتب من غير الفرس، يروعه أن يجد أن الأجزاء الأساسية التي بقيت منها (وهي في مجموعها أقل مما جاء في الإنجيل) هي في الحقيقة جزء صغير جداً بالقياس إلى ما أنزله الله على « زردشت »^(٢)

(١) « أ نكييل ديرون » المتوفى سنة ١٧٧١ . هو المستشرق الذي أضاف كلمة « زند » وهذه الكلمة يستعملها الفرس للدلالة على ترجمة الـ « أڤستا » أو تفسيرها وشرحها . أما كلمة « الأڤستا » فكلمة مجهولة الاصل وربما كانت مشتقة مثل كلمة « قيدا » من الاصل الارى « قيد » بمعنى حرف .
(٢) تروى الاخبار الفارسية أن « الأڤستا » نحتوى على واحد وعشرين كتاباً كل منها اسم « نيك » وهذه الكتب جميعها لا تشتمل الا على جزء قليل من نصوصها الاصلية وقد بقي كتاب منها برمته هو الـ « وندياد » اما الكتب الاخرى فتوجد منها اجزاء مشتقة توجد في ثنايا تأليفات متأخرة كـ « دينكرت » والـ « بندهش » . ويذكر مؤرخو الغرب أن الـ « اڤستا » برمتها كانت مكتوبة في ١٢٠٠٠٠ دقيقة من جلود البقر .

ومن الروايات الدينية الدائمة الصيت أن الامير « قشتاسب » أمر بدمج « الأڤستا » في نكتين ، أحرق الاسكندر احدهما عندما أحرق اقصر الملوكي في « برسبوليس » وأما النسخة الاخرى فحملها اليونانيون المتصرون إلى بلادهم ثم ترجعوا واستمدوا منها — كما يقول الفرس — كل ما أنر عن اليونان من علم ومعرفة . فلما كان القرن الثالث الميلادى امر ملك من ملوك الباريثيين ومن الاسرة الاشكانية اسمه « ارافولوجيسوس » أن يجمعوا المخطوطات المتفرقة من « الأڤستا » سواء كانت مدونة أو متناقلة بين أتباع هذا الدين ، فأصبحت هذه المجموعة عبارة عن الكتاب المقدس للزردشتيين في القرن الرابع الميلادى وقام عليها الدين الرسمي للدولة الفارسية . وقد أصبحت هذه المجموعة بشيء من الاذى فيما بعد عندما غزا المسلمون فارس في القرن السابع الهجرى
والاجزاء الباقية من الـ « اڤستا » يمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام :

الاول — الـ « يسنا » وهو عبارة عن خمسة وأربعين فصلاً من الطقوس الدينية يرتلها كهنة الزردشتين ، وسبعة وعشرين أخرى تسمى الـ « كاتها » صياغتها موزونة فيما يظهر وتشتمل على أحاديث « زردشت » وما أنزل إليه .
الثاني — الـ « ويسبرد » وهو عبارة عن أربعة وعشرين فصلاً من الطقوس الدينية —

ويبدو لمن يتمعن النظر فيها، سواء من الأجانب أو من الفرس، أن هذه الأجزاء الباقية هي في الحقيقة عبارة عن مجموعة مضطربة من الأدعية والصلوات والأغاني والأساطير والوصفات والمراسم وقواعد الأخلاق، ليس فيها أي جمال فني إلا ما يعترضها أحيانا من ألفاظ غنمارة أو ما يبدو في صياغتها من تماس في الاخلاص أو ترفع في الآداب أو تعفف في الترتيل والانشاد. وهي في مجموعها شبيهة بالتوراة من حيث كونها مجموعة من التواليف الدينية الممتازة، إذا سلكها الباحث تكشفت له أسماء الآلهة ودلالات الأفكار ووزعة في انجاسها المختلفة، ولقد يثر أحيانا على نفس السكيات والتعبيرات المستعملة في الـ «رج» — «فيدا». حتى لقد ذهب بعض المشتغلين بالعلوم الهندية إلى أن الـ «أقتا» لم تصدر في الواقع عن «آهورا مزدا» إنما نزلت بها كتب الهنود المقاسة المعروفة بالـ «فيدا». وربما صادف القارئ أحيانا مقطوعات مشتقة من أصل بابلي قديم كنشأة الخليقة على ست دفعات، مبتدئة بالسماوات ثم المياه ثم الأرض ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان، وكشأة البشر من أبوين اثنين، وكصوير الجنة بصورة أرضية، وكغضب الخالق على خليقته وتصميمه على إهلاكهم جميعا بالطوفان فيما عدا فئة قليلة استثناهما من مخلوقاته.

الثالث — الـ «ونديدا» وهو عبارة عن اثنين وعشرين فصلا يعرف كل منها بالـ «فرجدا» وهي تستوعب فقه الزردشتيين وأسرعاتهم الأخلاقية ويتخذها «البارسبون» في الهند أصلا لقانونهم الكشفي في الوقت الحاضر الرابع — الـ «يشث» وهي مجموعة من الأغاني والمدائح الموجهة للالهة وهي تبلغ اثنين وعشرين أغنية، تختلط فيها الأساطير بابوء عن نهاية العالم الخامس — الـ «غرد أقتا» أو الـ «أقتا الصغيرة» وهي مجموعة من الصلوات تختلف المناسبات.

ومع ذلك كله فالعناصر الايرانية الاصلية الباقية في هذه الكتب تكفي
للدلالة على طابعها العام ، فالعالم فيها تسوده فكرة الشائبة ، وهو مسرح لنزاع
دائم يستمر إثنين عشرة الف سنة ، هي فترة النزاع بين « آهورامزدا » إله
الخير و « أهر من » إله الشر ، ولكن الطهر والأمانة ، وهما أكبر الفضائل
ينتهيان بالعالم إلى الأبدية والخلود ، فأما الموتى فلا يجب دفنهم أو حرقهم كما يفعل
السفهاء من اليونان والهنود ، بل يجب أن تطرح جثثهم للكلاب لتتسببها أو
للطيور لتقتات بها .

وإله « زردشت » عبارة عن مجموعة السموات والأفلاك . و « آهورامزدا »
في رأيه يكتسب بقية السماء الزرقاء ، وجسده هو النور والعظمة الملكية ، والشمس
والقمر هما عيناه وناظراه . فلما تقدمت العصور وانتقلت أمور الدين من أيدي
الرسل والأنبياء إلى أيدي القادة والساسة ، صوروا هذا الإله بصورة ملك جبار
مهيب الجانب ، قوى السلطان ، يعينه على الخليفة والحكم مجموعة من الآلهة الصغيرة
جعلوها في البداية صوراً من صور الطبيعة وقواها كالنار والماء والشمس والقمر
والرياح والمطر . ومع ذلك فقد ظل أكبر تغرل « زردشت » أنه صور إلهه
بصورة الإله المسيطر على ماعداه من الكائنات ، فجاءت في كتابه عبارات
جميلة لاتقل في روعتها وشدة أسرها عما جاء في كتاب « يعقوب » ، فهو يقول :

« ها أنذا أسألك لخدمتي بصحة الخير... يا آهورامزدا .. !! من الذي
« جعل للشمس والكواكب مستقراً ثمرى فيه ؟ ومن الذي جعل القمر يكبر »
« ويسفر ؟ ومن الذي يجعل الأرض والسموات من أعفائها فلا يدعها تنهار »
« ونهوى .. ؟ ومن الذي يقوم بالحفاظ على المياه والنبات .. ؟ ومن الذي »
« سخر الرياح الذارية والسحب السارية ؟ ومن الذي أبعد يا آهورامزدا .. »
« والمثل الخير .. ؟ »

وهم لا يقصدون بالعقل الخير العقل الانساني ، وإنما يقصدون به « الحكمة
الالهية » التي جعلها « آهورا مزدا » واسطة في إبداع الخليقة (١) . وقد وصف
« زردشت » إلهه « آهورا مزدا » فألقى به سبع صفات هي :
« النور » و « العقل الخير » و « الحق » و « الجبروت » و « القداسة »
و « الاحسان » و « الخلود » .

ولكن أتباعه - وقد اعتادوا من قبل عبادة الآلهة المتعددين - مثلوا هذه
الصفات في صورة كائنات أسموها « أميشا سبنتا » أي الكائنات الخالدة
المقدسة ، وجعلوها تأتمر بأمر « آهورا مزدا » فتخلق العالم وتسيطر على تنظيمه
وحكمه ؛ وبذلك تحول مذهب التوحيد الذي جاء به مؤسس هذا الدين إلى
فكرة التعدد التي اعتنقها أتباعه ، وهذا شبيه بما حدث للمسيحية أيضاً .
وأضاف الفقه الفارسي إلى هذه المجموعة من الكائنات مجموعة أخرى من
« الملائكة الفارسيين » يتولون رعاية كل رجل وامرأة وطفل ، ويعتقد الفارسي
المتدين ، متأثراً في ذلك بما جاء في ديانة البابليين عن الشياطين ، بأنه في مقابل
هذه الكائنات المقدسة والملائكة الأطهار الذين يعينونه على الخير ، يوجد سبعة
من الشياطين أو الأرواح الشريرة ، تديم التحديق في الهواء وتسعى جاهدة إلى
إغراء البشر بارتكاب الآثام والشرور ؛ ومن أجل ذلك فهي في حرب دائمة مع
« آهورا مزدا » وكل مظهر من مظاهر الحق والخير . ورئيس هؤلاء الشياطين

(١) يعتقد « دار مستر » أن فكرة « العقل الخير » شبيهة بما اعتقده « الادريين »
و « فيلو » عن فكرة « الكلمة الالهية » وهو يتخذ ذلك حجة على أن ال « يسنا »
يرجع تاريخها إلى القرن الاول قبل الميلاد

هو « آنجرو ماينوس » أو « اهرمن » أمير الظلمة وحاكم العالم السفلى ؛ وهو شبيه بأبليس في ديانة اليهود ، وقد أخذوا فكرته فيما يظهر من فارس ثم أهدوها بدورهم إلى المسيحية . و « اهرمن » هو الذي خلق النعابين والديدان والجراد والتمل والشتاء والظلمة والمعاصي والآثام واللواط والطمث وما شابه ذلك من بلايا الحياة وآفاتهما ، وقد أبدعها جميعاً لتكون سبباً في تخطيم الجنة التي أسكنها « آهورا مزدا » للسلف الأول من الجنس البشرى .

ويبدو لي أن « زردشت » كان يعتبر هذه الأرواح الشريرة آلهة زائفة ، هي في الحقيقة تجسيد خرافي للقوى المعنوية التي تقف في سبيل تقدم الإنسان ورفقه ، فأما أتباعه فقد اتبعوا طريقاً أيسر في التفكير فظنوها كائنات حية ، جسدها في كثرة بالغلة بحيث اشتمل علم اللاهوت الفارسي فيما بعد على ملايين من هذه الشياطين الشريرة .

والمذهب الذي جاء به « زردشت » قريب المشابهة جداً بمذهب التوحيد ؛ وقد أدخلوا عليه فكرة « اهرمن » و « الأرواح الشريرة » ولكنه ظل مذهباً لا يعترف إلا بإله واحد ، كما يفترض في المسيحية رغم اشتغالها أيضاً على فكرة إبليس والملائكة والشياطين . وفي الواقع إننا نجد في المسيحية الأولى أصداء كثيرة لفكرة الثنائية الفارسية والتعاليم الدينية اليهودية والفلسفة اليونانية ؛ وفي الواقع أيضاً أن فكرة « الله » عند الزردشتيين قد استطاعت أن تعجب رجلاً مثل « ماتيو آرنولد » ... لأن « آهورا مزدا » كما يبدو فيها هو مجموعة القوى التي تعمل للخير والحق في هذا العالم ؛ وفي الاستعانة بهذه القوى ظفر مؤكدة لنشر الفضيلة والأخلاق ؛ كما أن في فكرة « الثنائية » تبرير لهذا

التعارض الذي يجعل الأشياء على طرفي نقيض، وهو ما لم تستطع « فكرة التوحيد » أن تلتمس له مخرجاً على الإطلاق . ولقد يذهب بعض رجال الدين الزرذشتيين أحياناً مذهب منصوفة الهند أو فلاسفة القرون الوسطى فيرون أن الشر لا وجود له في الواقع ونفس الأمر ؛ ولكن هذا لا يمنع من أن علم اللاهوت الذي قدموه لأتباعهم جاء مناسباً تمام المناسبة لتمثيل وقائع الحياة ومعانيها تمثيلاً يقبله العقل البشري العادي ؛ وقد جعلوا الفصل الأخير من هذه الرواية عهداً قطعوه على أنفسهم بأن نهاية الرجل الخير ستكون خيرة سعيدة ؛ فإذا انتهت أربع فترات طول كل منها ثلاثة آلاف سنة ، وتناوب الغلبة فيها « آهور مزدا » و « أهرمن » فإن النهاية ستكون بسحق الشر واستئصاله ، ونصرة الخير وإعلائه ، واختفاء القوى الشريرة إلى يوم الدين وأبد الأبدين ؛ وعند ذلك يتمكن الرجال الخيرون من اللحاق بـ « آهورا مزدا » في جنة النخل ، فأما أهل الشر والسوء فيسقطون في فجوة عميقة من الظلام، يكون طعامهم فيها السم الزعاف على الدوام .



جماعة من وفود الشعوب الخاضعة تجلب الجزية إلى مملوك فارس

فلسفة الإله خلاق لدى الزردشتيين

الإنسان هو ميدان المعركة
النار التي لا تخمد
الرحيم والأعراف والجنة
عبادة « ميثرا »
المجوس والبارسيون

صور الزرادشتية عالمنا الذي نعيش فيه بأنه مسرح للكفاح بين الخير والشر، فأقاموا بذلك في خيال الشعب قوة خارقة تحض على الأخلاق والعفة والطهر، وجعلوا النفس البشرية شبيهة بالكون، فثلوها بميدان تتعارك فيه الأرواح الخيرة والأرواح الشريرة، وبذلك أضحى كل إنسان — سواء شاء أو لم يشأ — جندياً من جنود الرحمن الرحيم أو جندياً من جنود الشيطان الرجيم، وأضحى كل عمل إيجابياً أو سلبياً يصدر عنه يعتبر مما يرجح كفة إله الخير « آهورا مزدا » أو كفة إله الشر « أهرومن ». . . وهذا المبدأ الأخلاقي، الذي جعل حتماً على البشر أن يستعينوا في تقرير أخلاقهم بمجموعة من القوى الخارقة للعادة، هو في الحقيقة مبدأ يدعو إلى الإعجاب الشديد الذي يفوق حد الإعجاب بالفقه الذي أملاه، فقد أضفى على الحياة البشرية العادية رداء من الروعة والجلال يفوق في بهجته وشدة أسره كل رداء يحوز أن يكون نتاجاً للفكرة السائدة التي تجعل من الإنسان « حشرة حقيرة » كما كانوا يصفونه في القرون الوسطى، أو آلة ميكانيكية

تتحرك من تلقاء نفسها كما يعرفون عنه اليوم في الاصطلاح الحديث . فلم يكن البشر في رأى « زردشت » مجرد يبادق تتزاحم عقوا في رقعة الكون وحربه الدائرة ، بل هم في الحقيقة كائنات حرة الارادة ، لأن « أهورا مزدا » شاء أن ينسى شخصياتهم ، فجعل لهم أن يختاروا في حرية تامة بين النور والحق وبين الظلام والكذب ، وهداهم إلى أن « أهرمن » هو « الكذب الخالد » وكل كاذب يعتبر واحداً من أتباعه وخدامه .

وقد نتج عن هذه الفكرة العامة مجموعة مفصلة من القواعد الأخلاقية بسيطة للغاية ، لأنها تدور حول القاعدة الذهبية التي تقول : « أن الطبيعة الخيرة هي تلك التي تلي على صاحبها ألا يصنع بغيره أمراً لا يريد لنفسه (١) » . وتقول الـ « أئستا » أن واجب الانسان ينطوى على ثلاثة أمور هي « أن يسعى إلى جعل العدو صديقاً ، وجعل الشرير صالحاً ، وجعل الجاهل علماً » فأما أ كبر الفضائل فالصلاح ، ثم الشرف والأمانة في الأقوال والأفعال . وتطبيقاً لهذا المبدأ الأخير ، لم يكن الفرس مثلاً يتقاضون شيئاً من الفائدة على عاريات الأموال ولكنهم كانوا ينظرون إليها نظراً إلى الشيء المقدس الذي لا يجوز المساس به أو التصرف فيه . والكفر عندهم هو أ كبر الآثام في الديانة « الأئستيه » كما هو الحال في الديانة « الموسوية » ، ولقد نستطيع أن نستدل على وجود « الاتحاد » بين الفرس من هذه العقوبات الشديدة التي اختصوها بها ، فكان جزاء المارق والكافر الاعدام السريع ، لأن المغفرة والرحمة التي أمر بهما الرحمن لم تكونا

(١) ينص الفصل ٦٦ من الـ « إيسنا » على أنه الشرير هو الذي يحسن إلى الأشرار . ومن الملاحظ أن الكتب الموحى بها قلما تتفق في نصوصها وتمايزها .

من نصيب « الكفرة » والمارقين . وقد وردت كلمة « الكفرة » في بعض النصوص مرادفة لكلمة « الأجانب » . وعرفوا « الأجنبي » بأنه نوع منحط من الفصيلة البشرية ، لم يده « آهورا مزدا » إلى اتباع الخير ، بل ملاً قلبه بحب وطنه ، فلم يعد يفكر إلا فيه وسعى دائماً إلى غزو فارس . ويقول هيرودوت : « إن الفرس يرون أنفسهم أسعى الشعوب شأنها وأعلاها كعباً في سائر الأمور والشئون ، وهم يمتقنون اعتقاداً جازماً أن الأمم الأخرى تدنو منهم فضلاً ، باعتبار موقعها الجغرافي قرباً أو بعداً من « فارس » ، وإن أسوأ الأمم والشعوب هي أبعداها عن الحدود الفارسية . وقد بقيت أصداً هذه الأقوال حتى اليوم ومازالوا يطبقونها تطبيقاً عاماً شاملاً .

ولما كان الصلاح هو أكبر الفضائل وأسمىها عند الفرس ، فإن أول واجب على الإنسان في الحياة هو التقرب إلى الله وعبادته بطريق التطهر والتضحية والصلاة . ولم تجز الديانة الزردشتية إقامة الهياكل والأصنام ، ولكن اتباعها مع ذلك أخذوا يقسمون معابدهم المقدسة على سفوح التلال أو في ساحات القصور أو في أواسط المدن ، وأشعلوا فيها النيران المقدسة قرناً لئلا « آهورا مزدا » أو لغيره من الآلهة الصغيرة ، ثم عبدوا هذه النيران نفسها واعتبروها من آلهتهم وأسموها « آتر » وجعلوها ابناً لآلهتهم الأعظم إله النور والضياء ، وأصبح من عادة كل أسرة أن تجتمع حول موقد النار في خشوع واحترام ، ثم تطور الأمر فأصبح من أهم مراسم الدين أن يحرص أعضاء الأسرة الواحدة على إبقاء هذه النار في اشتعال دائم ، وألا يدعوها تبرد في لحظة من اللحظات . فأما نار السموات التي لا تخبو وهي « الشمس » فقد عبدوها على أنها أبلغ تمثيل وأقوى تجسيد

لفكرة « آهورا مزدا » أو « مئرا » . وهذا شبيه بما فعله « أخناتون » تماما من حيث عبادة الشمس في مصر . ويقول كتاب الفرس المقدس : « إن شمس الصباح يجب أن تبجل حتى وقت الظهيرة ؛ وشمس الظهيرة يجب أن تبجل حتى وقت العصر ؛ وشمس العصر حتى وقت المساء ؛ فإذا لم يبجل الناس الشمس فإن الأعمال الخيرة التي يأتونها طيلة النهار لا تحسب في حساب حسناتهم ... » وكانوا يقدمون للشمس والناز و « آهورا مزدا » قرابين من الزهر أو الخبز أو الفاكهة أو الطيب أو الثمران أو الأغنام أو الابل أو الخيل أو الحير أو الغزلان ؛ كما كانوا يقدمون أحيانا قرابين من البشر ؛ وهذا كله شبيه بما كان عليه الحال في أجزاء أخرى من الأرض . وكانوا يعتقدون أن الآلهة تتلقى خلاصة هذه الأشياء دون سائر أجزائها المأكولة . فأن هذه الأجزاء المادية كانت من نصيب الكهنة والمتعبدين وحدهم ، وقد تبرر كهن الجوس عن ذلك بقوله : إن الآلهة لا تريد من الأضحية إلا الروح التي اشتملت عليها .

أما العادة الآرية القديمة التي جروا فيها على تقديم شراب الـ « هوما » المسكر إلى الآلهة فقد ظلت متبعة في الديانة الزردشتية ، ولو أن « زردشت » نفسه كان يكرها كرها شديدا ، بحيث لم يرد لها ذكر على الإطلاق في نصوص كتابه الـ « أفستا » . وكان على السكاكن أن يشرب جزءا معلوما من هذا العصير المقدس وأن يقسم الباقي على الحاضرين من المؤمنين أثناء تأدية الطقوس الدينية ، فإذا كان الناس من الفقر بحيث لا يستطيعون تقديم مثل هذه القرابين الشبيهة الغالية فلا بأس عليهم من أن يتقربوا إلى إلههم بالزاني والاغراق في الضراعة والابتهال . والظاهر أن « آهورا مزدا » كان شبيها بإله اليهود يجب المدائح

ويستسيغ الأدعية ، ومن أجل ذلك فقد كشف للصالحين عن قائمة مستفيضة من صفاته؛ أصبحت وردا على السنة الفرس في دعواتهم وإتهالاتهم .

فاذا قدرت للفارسي حياة الحق والصالح فله أن يقابل الموت غير خائف ولا وجل ، وقد كان هذا المطلب من أهم الأهداف الخفية التي يهدف إليها الدين . وكان في وسع إله الموت « استيقيهاد » أن يظفر بكل إنسان مهما كان مقره ومكانه ، لأنه باحث دائم ليس له غالب ، ولا يستطيع كائن أن يفلت من قبضته ومخالبه ، وقديما لم يستطع أن ينجو منه من لاذ بالهرب إلى أسفل سافلين ، كما فعل « أفراسياب » التركي حينما استغلّ السحر والقوة فبنى لنفسه قصرا من حديد تحت سطح الأرض على عمق ألف قامة من قامات الرجال ، ودعمه بنشآت الأعمدة الهائلة ، وأنشأ في سقته النجوم والكواكب ، وأدار فيه القمر والشمس ، وملاؤه بأشعة النهار البينة الساطعة ، ونال فيه من المتع ماشاء ، وعاش فيه عيشة كلها سعادة وهناء ... !!

ولم يستطع أن ينجو منه من جاب مسالك الأرض الفسيحة الواسعة وبلغ حدودها النائية الشاسعة ، كما فعل « الضحاك » حينما خرج من المشرق إلى المغرب باحثا عن الخلود ، فلم يظفر بطائل ولم يفر بنجاح .

و « أستيقيهاد » يقبل على كل شخص من الناس في خداع وخفاء ، فلا يقبل منهم ثناء ولا اطراء ، ولا يقبل منهم رشوة ولا عطاء ، وكل همه أن يهلك الناس في قسوة وجفاء ، دون أن يرعى لأحد منهم حرمة ولا ولاء ... !!

والمعروف عن كل الأديان أنها بطبيعتها تشمل على جملة من مبادئ الوعيد والارهاب ، تقابلها جملة أخرى من مبادئ البر والمواساة ، وعلى ذلك فلم يكن

الفارسي السادي يقابل الموت غير آبه إلا إذا أحس بأنه كان من جنود « آهورا مزدا » الخلاصين ، لأنه كان يعتقد أن العالم الخافي تقع فيه « النار » و « الأعراف » و « الجنة » ، وعلى أرواح الموتى أن تعبر جميعها فوق جسر كالغربال هو الصراط المستقيم ، فأما الروح الخيرة فصيرها إلى مسكن الأغاني والأهازيج « حيث تستقبلها فتاة عنراء ذات وجه كله فتنة وحياء ، وصدر ناهد الشهي مكتمل النساء » ، ثم تعيش بعد ذلك مع « آهورا مزدا » حتى أبد الآبدين في هناء دائم وصفاء مقيم ، وأما الروح الشريرة فلا تستطيع أن تعبر هذا الجسر بل تتردى في هوة سحيقة من النار ، يتناسب عمقها مع مدى الخبث والاثم اللذين اتصفت بهما هذه الروح ، وهذه النار لم تكن مجرد « الجحيم » الذي حدثتنا عنه الأديان الأخرى عندما قالت إن جميع الأرواح تهبط إليه في البداية سواء كانت خيرة أم شريرة ، بل هي هوة سحيقة من الظلام والرعب ، تتردى فيها الأرواح الشريرة لتنال ماقدر عليها من عذاب إلى نهاية العالم . فاذا كانت حسنات الانسان ترجح سيئاته فعليه أن يتطهر بعقوبة مؤقتة ، فاذا كثرت آثامه وكانت له حسنات فان عذابه لا يستمر إلا اثنتي عشرة الف سنة ، يرفع بعدها الى الجنة الموعودة لعباده الصالحين . !! ويحدثنا صلحاء الزرادشة بأن الزمان قد قرب من نهايته المحنومة ، فقد حدثت ولادة « زردشت » في فترة الثلاثة آلاف سنة الأخيرة من حياة هذا العالم ، فاذا ظهر من نسله ثلاثة أنبياء ، ينشرون دينه في فترات متباعدة ، فان النيامة تقوم ويسود حكم « آهورا مزدا » ويتحطم « أهرمن » وأتباعه تحطيا كاملا لا تقوم لهم من بعده قائمة ، فتدب الحياة من جديد في الأرواح الخيرة وتنبعث من جديد بعثها الاخير ، ويخلو العالم إلى أبد الآبدين من أعراض الشيخوخة والهرزال والموت والانحلال .

وفي هذا كله مثل آخر لما نصادفه في « كتاب الموتي » عن التهديد بيوم
القيامة الرهيب ، وربما انتقلت فكرة البعث هذه من الفارسية إلى اليهودية في أيام
سيطرة الفرس على فلسطين ، وهي فكرة رائعة ، .. لجأوا إليها لتخويف الأطفال
حتى يدينوا بالطاعة لأبائهم ، وليس من شك أن من أهم الأغراض التي يقوم الدين
على تأديتها تهديد الواجب العسير الشاق الذي يلزم الكبار بتأديب الصغار
وتقويمهم ، ومن أجل هذا وجب أن نعترف بفضل موازنة الزردشتيين ومهارتهم
في اصطناع هذه الأسس الدينية الفائقة التي جعلت دينهم ديناً رائعاً يمتاز عن
سائر الأديان المنتشرة في ذلك الزمان بعدم دعوته إلى المحاربة وسفك الدماء
والخصام ، وبنفوره الشديد من عبادة الدمى والأصنام ، وببعده عن الاعتقاد في
الخرافات والالوهام ، بحيث حق له أن يبقى سليماً لا يتطرق إليه الزوال السريع
ومن المعروف أن هذا الدين استطاع تحت حكم « دارا الاول » أن يصبح
المصدر الروحي للأمة الفارسية في أوج رفعتها ، ومن المعروف أيضاً أن الانسانية
تحب الشعر أكثر مما تحب المنطق ، وأن الناس لا يطبقون الحياة دون أن يصوغوا
لأنفسهم أسطورة يبدعها الوهم والخيال ، فنتج عن ذلك كله أن ظل جماعة من
الناس يخلصون العبادة لـ « مئرا » إله الشمس و « أناهيتا » إلهة السماء
والخصوبة والتوالد والأثوثة ، بالإضافة إلى اخلاصهم لهذا الدين الرسمي الذي دعا
إلى عبادة « آهورا مزدا » . وقد أخذ أسما « مئرا » و « أناهيتا » يذكران
في النقوش الملكية في أيام « ارتا گز رسيس الثاني » وانتشرت منذ ذلك الوقت
عبادة « مئرا » بصورة قوية ، وأخذت عبادة « آهورا مزدا » تنحسر وتتضاءل
حتى إذا كانت القرون الميلادية الأولى ، أخذت عبادة « مئرا » تنتشر في أرجاء
الدولة الرومانية ، فنلوه بشاب مقدس ، رائع الصورة بهي الجمال ، تحوط رأسه

هالة من الضوء ، رمزاً لتمثل شخصيته بالشمس منذ أقدم الأزمنة ؛ وقد ساعد هذا التصوير في نشأة الاحتفال بيوم الميلاد لدى المسيحيين ^(١) . ولو كانت « زرتشترا » مخلدًا ولم يصبه الغناء لأحس بالفضيحة والعار عندما أخذ الفرس بعد موته بقرون قليلة يقيمون في كثير من مدنهم جملة من التماثيل « أناهيستا »^(٢) . ولساءة على وجه التأكيـد أن يجد كثيراً من صفحات كتابه المقدس قد اقتصرت على إيراد أنواع شتى من الصيغ السحرية التي يراد بها شفاء الأمراض أو الرجم بالغيب أو السحرة . ومع ذلك فقد استطاع الأقدمون من كهنة المجوس — أو « الرجال المقلاء » كما يسمون — أن يقهروا هذا المذهب ، بأن فعلوا به ما يفعله عادة رجال الدين ، إذا شاءوا التغلب في النهاية على كل ثائر قوى أو ملحد عنيد ، فأدخلوا مذهب « مئرا » في معتقداتهم ، وسلوكوا « مئرا » في عداد آلهتهم ، ثم أسدلوا عليه بعد ذلك ستاراً كثيفاً من الإهمال والنسيان .

وقد عرف عن كهنة المجوس أنهم استطاعوا أن يؤثروا في قومهم تأثيراً كبيراً لا حد له ، وأنهم فازوا كذلك عند البيرونايين بشهرة عريضة في الحكمة والعلم وبما كانوا يأخذون به حياتهم من الخشونة والاقتصار على زوجة واحدة ، وبما كانوا يتبعونه في التطهر من مختلف المراسم والطقوس الدينية ، وبما كانوا يراعونه من الامتناع عن أكل اللحوم والاقتصار في ملبسهم على كل بسيط

(١) كان يوم الميلاد في الأصل عيداً شمسياً يحتفلون فيه لدى الانقلاب الشتوي (أي قرب الثاني والعشرين من ديسمبر) بطول النهار وتغلب الشمس على أعوائها ، وقد انقلب هذا العيد الشمسي إلى عيد يحتفل به أتباع « مئرا » ثم أصبح في النهاية يوماً مقدساً لدى المسيحيين .

(٢) هي لدى الفرس بمثابة « أفروديت » لدى اليونان وتسمى بالعربية « الزهرة »

خشن . وقد نتج عن ذلك كله أن تتلمذ لهم ملوك الفرس وأصبحوا لا يقدمون على عمل خطير دون أن يستشيروهم ويعملوا برأيهم . فأما المبرزون من هؤلاء الكهنة فكانوا « حكام » بمعنى الكهنة ، وأما العاديون منهم فكانوا عرافين أو مشعوذين ، يقتصر عملهم على الحدس بأحكام النجوم وتفسير الرؤى والأحلام . وتتابعت السنوات بعد ذلك فأخذت العناصر الزردشتية في الدين الفارسي تضمحل ونضبو ، ثم أصابها نوبة من توبات الاتعاش تحت حكم « الدولة الساسانية » من ٢٢٦ — ٦٥١ م ولكنها ما لبثت أن استؤصلت نهائياً بالفتح الإسلامي لآيران ، ثم بغارة التتار عليها فيما بعد . ولم يعد للديانة الزردشتية بقاء في أيامنا هذه إلا بين جماعات صغيرة من معتقبيها في ولاية « فارس » يضاف إليهم تسعون ألفاً من « البارسيين » في بلاد الهند ، وهؤلاء جميعاً يدرسون في دقة وعناية كتبهم القديمة ، ويقدسون النار والأرض والماء والهواء ، وينشرون موتاهم فوق « بروج الصمت » لتأكلها الجوارح والسكواسر حتى لا تتلوث بها العناصر المقدسة إذا ما أحرقوها أو دفنوها في بطن الأرض . وهم أناس يتنازرون بأخلاق قويمة وصفات سليمة ، جعلتهم الشاهد المائل لأعيننا حتى اليوم على أن مذهب « زردشت » يشتمل على كثير من العناصر القوية التي تعمل على تمدن الجنس البشري وإسعاده .

آداب الفرس وأخلاقهم

القوة والشرف
مراحم التطهر والنظافة
آداب الجسد
العذارى والذئاب
الزواج والنساء والأطفال
أفكار الفرس في التعليم والتربية

أما ما بقي في طبائع المييديين والفرس من غلظة وقسوة لم توح بهما تعاليم دينهم التي رأيناها ، فقد أصبح مثاراً للدهشة والحيرة ... فقد سجل « دارا الأول » وهم أكبر ملوكهم إطلاقاً في نقش من النقوش المسطورة في حجر « بيهستون » العبارات التالية التي تدل على كثير من القسوة والجفاء :

« لقد قبضوا على « فراورتش » وأحضروه إلى ، فأمرت «
« بقطع أنفه وأذنيه ، ثم قطعت لسانه وسمات عينيه ، ثم أبقيته «
« في قصرى مقيداً بالسلاسل والأغلال ، فلما رآه جميع الناس «
« على هذه الحال ، أمرت بصلبه في مدينة « اكباتانا » . وقد «
« أيدنى « آهورا مزدا » بعصده المتين ، فاستطلعت برعايته أن «
« أقهر جيوش الشائرين .. وتمكن رجالى من القبض على «
« سترنكاخارا ، فلما أحضره أمامى قطعت أنفه وأذنيه «
« وسمات عينيه ، وأبقيته في قصرى مضطجداً بالأغلال ، فلما «
« فرغ جميع الناس من مشاهدته على هذه الحال ، أمرت بصلبه «
« والقضاء عليه ... II »

وتشهد حوادث القتل التي ذكرها لنا « بولتارك » في حياته عن
« ارتاگز رسيس » الثاني ، على أن الملوك المتأخرين كانوا يتصفون بكثير من
القسوة وسفك الدماء ، وإنهم كانوا يبطشون بالخونة بطشاً لارحمة فيه ولا شفقة ،
فاذا اتهم القادة والزعماء بالخيانة ، كان نصيبهم القتل والصلب ، وبيع أتباعهم
بيع الرقيق ، واستبيحت مدتهم للغارة واللب ، وفنياتهم للقتل والخصي ، وفنياتهم
للمتعة والسبي .

ومن الحق أن نقرر في هذه المناسبة ، أنه ليس من العدل في شيء أن نحكم
على شعب بما ورد في سيرة ملوكه وحكامه ، فالفضيلة لا وجود لها في صحائف
الأنبياء والأخبار ، وفضلاء الرجال شبيهون بالأمم الفاضلة لا ذكر لهم ولا تاريخ ،
ولكننا مع ذلك كله نجد جملة من ملوك الفرس أظهروا في مناسبات قليلة أمثلة
رائعة من أمثلة السمو والغفران حتى اشتهروا بين اليونان ، الذين لا يرمعون عهداً ،
بأنهم أهل العهد والوفاء ، فكانت المعاهدات التي تمقدهم معهم نافذة المفعول ، يمكن
الركون إليها والاعتماد عليها ، بحيث أخذوا يفخرون على من عداهم بأنهم يحفظون
الوعد ولا ينتقضون العهد . وأروع شاهد على ما امتاز به الفرس من خلق متين
سليم ، إنه كان من أندر النادر أن تؤجر فارسياً لتجارب به فارسياً آخر ، بينما كان
من السهل اليسير أن تؤجر يونانياً لتجارب به يونانياً آخر (١) .

وفي الحق إن طبائع الفرس كانت أكثر اعتدالاً مما توحى به أنبياء تاريخهم

(١) عندما كان الفرس يحاربون الإسكندر في موقعة « جرانيقوس » كان أغلب مشاتهم
من مأجوري اليونان ، كذلك كان الحال في موقعة « ابيوس » فقد كان قلب الجيش الفارسي
مكوناً من ثلاثين ألف جندي يوناني من المأجورين .

إذا حدثتنا عن الدماء المبرقة على أيديهم والسيوف المصلته في أكفهم ، فالفرس قوم أحرار يتنازرون بالصراحة والكرم والمحبة والسخاء ، وهم يدققون في رعاية « آداب السلوك » كما يفعل الصينيون ، فإذا تقابل نظيران احتضن الواحد منهما الآخر عنفاً وقبلة في شفتيه ، أما إذا قابل أحدهم من هو أعلى منه مرتبة وقدرًا فعليه أن ينحني له انحناءً كبيرةً كلها خشوع واحترام ، فإذا قابل من هو دونه قَدَم له وجنته ليقبلها ، فإذا تقابل مع فردٍ مع عامة الناس حتى له رأسه قليلًا في دعة وهدوء . وهم يستنكرون تناول الطعام أو الشراب على قارعة الطريق ، ويكرهون البصق أو التخط في مكان عام ، وكانوا حتى حكم « إكزرسيس » معتدين في تناول الأطعمة والأشربة ، يكتفون عادةً بأكلة واحدة طوال اليوم ، ويقتصرون من أنواع الأشربة على الماء العذب الرقاق . وكانوا يعتبرون النظافة أصيب نعم الحياة ، ويرون أن الأعمال الطيبة تصبح عديدة الجدوى إذا أدتها أيدٍ قادرة ملوثة ، وإذا لم يستطع المرء القضاء على ما في جسده من قدر ودنس ، فلا سبيل للملائكة إلى السكنى في جسده وبدنه ، وقد فرضوا أقصى أنواع العقوبات على من ينشرون الأمراض السارية ، وأصبح من عادتهم أن يجمع الناس في أيام الأعياد وهم متدثرون بالملابس النظيفة البيضاء . وجمعت « الأستا » كما جمعت ديانة البراهمة واليهود كثيرًا من مراسم التطهر وطقوسه ، ونخصت أجزاءً كاملةً من كتابات « زردشت » لبيان المراسم المعقدة التي كانوا يتبعونها لتطهير البدن والروح ، وكانت علامات الأظافر وقصاصات الشعر والجهر بالصوت تعتبر من الأشياء الدنسة التي يشجنها الفارسي العاقل ما لم تكن قد تطهرت تطهيراً كاملاً .

وكان الدين الزردشتي كذلك فلسفياً في معاقبة خطايا الأجساد . فكان

الاستمناء يعاقب بالجلد ، وكان الرجال والنساء الذين يرتكبون الفحش أو
 المسابقة يماقبون بالقتل « لأنهم أولى به من الأفاعى الزاحفة أو الذئاب العالوية » .
 ومع ذلك فقد وردت نبذة في تاريخ « هرودوت » تبين لنا أن التقاليد المرعية
 حادت قليلا عن التعاليم الشرعية في مسألة ذكرها لنا ذلك المؤرخ عندما
 قال : « إن الفرس يعتقدون أن خطف النساء لا يقوم به إلا الأشرار من الناس ،
 ومع ذلك فانك تعتبر من أشد الناس جهلا وغيباء إذا أتعبت نفسك في
 استرجاعهن والتأمرهن !!.. أما إذا أهملتهن في هذه الحالة فانك من أشد الناس
 عقلا واتزاناً ، لأن الحقيقة الواضحة تقرر أن اغتصاب النساء لن يأتى إلا إذا
 كن راغبات فيه راضيات به !!.. » وقد حدثنا في مكان آخر بأن « الفرس تعلموا
 من اليونان حب الغلمان » ونحن لا نميل إلى تصديق هذا المؤرخ النابه في كل
 ما ذكر من أخبار ، ولكننا نحس فيما أورده في هذه القصة ، بشئ ، من الصديق
 تشبه به شدة العقوبة التي تقررها « الأفتا » للواط ، فانها تقرر في أكثر
 من موضع .. « إن اللواط جريمة لا غفران لها ، ولا يستطيع شئ في الوجود أن
 يكفر عنها » .

ولم تكن تعاليم « زردشت » تشجع العناري والعزاب على كثرة الزواج ،
 ولكنها مع ذلك كانت تسمح بالزواج من أكثر من واحدة ، كما كانت تسمح
 باتخاذ انثليات والمحظيات ، لأن الشعوب الحاضرة تحتاج دائماً إلى الأطفال
 والفتيان ، وتقول « الأفتا » : « إن الرجل المتزوج خير بكثير من الرجل
 الأعزب ، والرجل الذي له منزل خير بكثير من لا منزل له ، والرجل المميل
 خير بكثير من لا عيال له ، والرجل الثرى خير بكثير من لا ثراء له » ... وهذه

المقاييس الاجتماعية التي وردت في هذه العبارات معروفة لدى جميع الأمم والشعوب ، ف نظام الأسرة لديها جميعاً هو أقدس النظم وأسمىها وأجدرها بالرعاية والصيانة ، ويدعو « زرتشترا » في هذه المناسبة إلهه فيخطبه بقوله : « يا إلهي ! يا من صنعت هذا الكون المادي برمته ... أي مكان تسعده الأرض أكثر من غيره ... ؟ » فيجيبه « آهورا مزدا » بقوله : « إنه المكان الذي يبني فيه واحد من أتباعي منزلاً ، ويجعل في هذا المنزل مكاناً للكاهن والماشية والزوجة والأطفال والأمناء ، فكثير الماشية ، وتخصب الزوجة ، وينمو الأطفال ، وتنتج الثيران ، وتزداد نعم الحياة . » ... وكان الكلاب دون سائر الحيوانات يعتبر جزءاً متمماً للأسرة ، كما ورد في آخر الوصايا التي جاءت على لسان موسى -

وكان من الواجب على كل أسرته تحريمها دابة ضالة يشغلها الحل أن تقومها إلى منزلها وتعني بها العناية الكاملة ، وقد خصصت عقوبات شديدة لمن يقدم طعاماً فاسداً أو شديد السخونة لـ كلب من الكلاب ، وجعلوا جزاء من يضرب كلبه أتاها ثلاث كلاب أن يجلده ألف جلدة وأربعائة جلدة ، وكان الثور عزيز القدر عندهم لقدرته الكبيرة على كثرة النسل والانتاج ، كما كانوا يقدمون للأبقار كثيراً من الادعية والقرايين .

فاذا بلغ الفتيان سن الرشد أخذ الوالدان في اختيار الزوجات الصالحات لهم ، وكان مدى هذا الاختيار واسماً ، لأن كثيراً من هذه الزيجات كانت تعقد بين الأخ وأخته ، أو بين الوالد وابنته ، أو بين الولد وأمه . أما الخليلات والمحظيات فكان متعة للأغنياء والأثرياء ، وكان من دأب الطبقة العليا ألا يخرجوا للحرب إلا وهم في رفقتهم . وقد ذكروا أن « حريم » الملك في أيام الامبراطورية الأخيرة كان

يشتمل على عدد من المحظيات ينحصر بين ٣٢٩ و ٣٦٠ محظية ؛ لأنه أصبح من التقاليد المرمية ألا ترقد امرأة في فراش الملك أكثر من مرة واحدة ، إلا إذا كانت رائعة الحسن بالغة الجمال .

وكانت المرأة عند ظهور «زردشت» تتمتع بمكانة عالية في إيران . وتذهب الأخبار القديمة إلى أنها كانت تتمتع بحريتها الكاملة في ارتياد المجتمعات والمتنديات دون أن تتعقب أو تحتجب ؛ وأنها كانت تملك الاملاك وتصرف فيها كيفما شاءت ؛ وأنها كانت تتمتع بما تتمتع به المرأة الحديثة من حق إدارة شئون زوجها باسمه أو بوكالة منه . ولكن مكانتها هذه أخذت تنقص وترجع القهقري بعد وفاة « دارا الأول » ، وكان هذا ملاحظا على الخصوص بين الطبقة الفنية من النساء ، أما الفقيرات فمنهن فقد احتفظن بحريتهن في التنقل لاضطرارهن إلى السكد والعمل ؛ وفيما عدا ذلك من الأحوال كان اعتكاف النساء عن المجتمعات أمرا اضطراريا يلزمه في أوقات الحيض والولادة ، وقد امتد هذا الاجراء حتى شمل حياة النساء الاجتماعية على العموم ، وكان أساسا للنظام الاسلامي المعروف باسم ال « برده » (١) ونتج عن ذلك أن نساء الطبقة العليا أصبحن لا يجسرن على الخروج إلا في هودج تغطيها السدل والحجب ، وأصبح محظورا عليهن الاختلاط بالرجال في المجتمعات الخاصة أو العامة ، بل لقد منعت النساء المتزوجات من رؤية أدنى الرجال قرابة بهن ولو كانوا آباءهن أو إخوانهن . وترتب على ذلك بالضرورة أننا لا نجد للنساء ذكرا أو تصويرا في كافة النقوش أو التماثيل التي بقيت

(١) المترجم : كلمة فارسية . معناها أصلا الستار أو الحجاب ، وقد أطلقوها على الحرم لاستئثار النساء فيه عن أعين الرجال .

لنا من إيران القديمة . أما الخليلات والمحظيات فكان على عكس ذلك يتمتعن بحرية كبيرة ، لأن المفروض فيهن أنهن يقمن بالترقية عن مولاهن وضيوفهن . وقد قوى نفوذ النساء في العصور المتأخرة ، وتمكن في شئون القصر ، ونافسن الخصبان في الدأب على الدس والتأمر ، وسابقن الملوك في ابتداع وسائل التعميت والتشكيل (١)

ولم يكن أدعى إلى كسب الاحترام والتعجيل من التزوج وإنجاب الأطفال لأن الفرس كانوا يقولون في تقدير الأبناء ويمتدرونهم ثروة اقتصادية لأبائهم ، وثروة حربية لمملوكتهم . أما البنات فكانت ولادتهن محلبة للوعة والحسرة لأن الغرض من تربيتهن كان منصباً على إعدادهن لمنزل رجل آخر يخفى فائدتهن . ومما قاله الفرس في هذه المناسبة : « إن الرجال لا يهتمون إلى الله مطلقاً من أجل البنات ، وكذلك الملائكة لا تعتبرهن بركة يجوز منحها لبني البشر . . ! »

وكان من عادة الملك في كل سنة أن يرسل الهدايا لكل والد أكثر أبنائه وبناته ، وكان ما هو بذلك يقدم له عربوناً لقاء أرواح بنيهم ودمائهم .

وكان فحور النساء وزنا المتزوجات منهن جرماً قابلياً للعقوبة ما لم يقتربا بإجهاض الحمل ، لأن الاجهاض في رأيهم جريمة تفوق ما عداها من الجرائم ولا يقل عقاب مرتكبها عن الاعدام . وقد ورد في إحدى الشروح القديمة

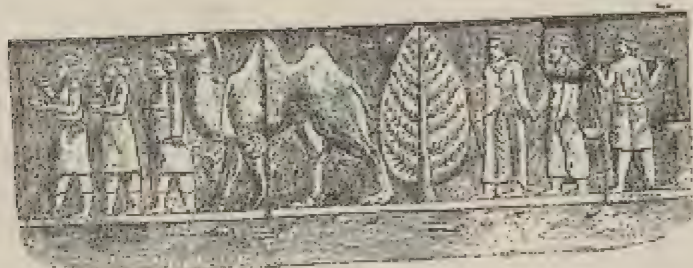
(١) كانت « استاتيرا » زوجة مشاليه الملك « ارتاكزديس الثاني » ولكن أمه « باريساتس » حقدت عليها وقتلتها مسمومة ، ثم شجعت الملك على أن يتزوج ابنته « أوتوسا » وقررت معه على حياة خفي من الغصيان فلما لعبا اللورد وكسبت ، أمرت بسلاخه حياً . وأمر « ارتاكزديس » في مرة من المرات بأن يقتلوا جندياً كارياً ، وعلقت « باريساتس » الأمر وأدخلت على حكم الملك بعض التعديلات بأن أمرت بالجندي أن يرشد من أطرافه عشرة أيام ثم يسلمون عليه ثم يصبون فيهما وفي أذنيه الفضة المصهورة حتى يموت على هذه الصورة الشنعاء

وهو الـ « بُنْدَهَش » وصف لجملة وسائل لمنع الحمل ، ولكنه حذر الناس من استعمالها ، وقد جاء في الكتاب المقدس الفارسي عند ذكر النسل : « إن المرأة إذا خرجت من الحيض تبقى عرضة للحمل عشرة أيام بلياليها إذا ما اقترب منها الرجال » .

وكان من عادة الفرس أن يتركوا الطفل في حضنة أمه حتى الخامسة من عمره ، ثم يرباه أبوه بعد ذلك حتى السابعة ، فإذا بلغها أدخلوه المدرسة .
 وكان التعليم مقصوراً في أغلب الأحوال على أبناء الأغنياء ، يتولاه جماعة من الكهنة والقساوسة ، يجتمعون بالتلاميذ في المعابد أو في بيوتهم الخاصة .
 وكان الفرس يحرصون كل الحرص على ألا تصاقب المدرسة سوق البلدة ، حتى لا تنفس أخلاق الصغار بما يروونه منتشراً في الأسواق عادة من أنواع الكذب والغش والخس بالأيام . وكانت كتب المدرس عبارة عن الـ « أفسنا » وشروحها ، وهي جميعها تشتمل على موضوعات تتصل بالدين والطلب والقانون ، وكانت الوسيلة في تعلمها مقصورة على حفظ مقطوعات طويلة منها عن ظهر قلب ثم إنشادها وإعادتها غيباً . أما أبناء الطبقات المترفة فكانوا لا يكلفون بتعلم الكتابة ورمز الحروف ، بل يقتصر تعليمهم على ثلاثة أشياء هي ركوب الخيل والرمي بالقسي وقول الصدق . وكانت الدراسات العالية بين أبناء الطبقة العليا تمتد إلى سن العشرين أو الرابعة والعشرين ، فيتخصصون جميعاً في فنون الحرب وأنواع القتال ، ويجهز بعضهم لشغل المناصب العامة أو الولاية على الأقاليم وكانت طريقة التعليم في هذه المدارس العالية عميرة شاقة ، فكان على الطلبة أن يستيقظوا مبكرين ، وأن يأخذوا في العدو أشواطاً بعيدة ، وأن يركبوا

الجياد الجائعة ركضاً في سرعة فائقة ، وأن يخرجوا للوموم والصيد وتتبع المصوص ،
وأن يزرعوا الحقول وينرسوا الأشجار ، وأن يسيروا المسافات البعيدة في لفحة
الشمس القاطنة أو لذعات البرد القارسة ، وأن يتعلموا كيف يتحملون شدائد الجو
وتقلباته ، وكيف يقتاتون بأحقر الأقوات والأطعمة ، وكيف يعبرون بحاري
الأنهار دون أن تبتل أرديتهم أو معداتهم .

ولا شك أن طريقة التعليم هذه كانت قيمة بأن تتلج خاطر « فردريك
نيثشه » في ساعاته الحائرة التي استطاع أن يقتنم فيها ثقافة اليونان القديمة
وما اتصفت به من تنوع بهيج و بريق أنيق .



جماعة من وفود الشعوب الخاضعة لنجل الجزية إلى ملوك فارس

العلوم والفنون

الطب والفنون الصغيرة

مكتبة « قورش » « دودارا »

تصوير سبوليس

إفريت الرماة

تقدير الفن الفارسي

تعهد الفرس فيما يظهر أن يهتموا بتعليم أبنائهم أى فن من الفنون إلا فن الحياة ، فكانت الآداب فى رأيهم متعة قليلة الجدوى ، وكذلك كانت العلوم سلعة فى أمكانهم أن يستوردوها من « بابل » . وفى الحق أنهم عشقوا الأشعار والروايات الخيالية ، ولكنهم تركوا الاشتغال بها لجماعة من المأجورين والمستضعفين وفضلوا الانغماس فى الأحاديث الطبية الشيقة ، مضحين بذلك بما يجلبه البحث والاستقراء من متع ذهنية هادئة صامتة . وكانت أشعارهم تفى أكثر مما تنشد ، فاذا مات المغنون ماتت بموتهم هذه الأشعار ، وذهبت بنهايتهم هذه القصائد والمنظومات .

وكان الطب فى البداية وظيفة يقوم بها الكهنة ورجال الدين ، وكان هؤلاء يمارسونه وفقاً لبداً واحد يقرر أن « الشيطان » قد خلق ٩٩٩ ر ٩٩ نوعاً من الأمراض والعلل ، وأنه يمكن شفاؤها جميعاً بخليط من السحر والأدوية . وقد فضلوا فى ذلك استعمال الرقى والتعاوين على استعمال الأدوية والمقايير ، قائلين

أن الرقى إذا لم تشف المرض فهي لا تقتل المريض، وأما العقاقير فلا يمكن أن يقال عنها مثل هذا القول. ومع ذلك فقد ارتقى الطب المدنى بنمو الثروة فى « إيران ». حتى إذا كان عصر « ارتا گزسيس » نشأت جمعية طبية حسنة التنظيم والتنسيق تضم جماعة من الأطباء والجراحين، حددت أجورهم كما فعلت قوانين « حلمورايى » وفقاً لمكانة المريض ومقامه الاجتماعى. وقد جرت العادة على معالجة رجال الدين مجاناً، وكان لزاماً على الطبيب الجديد أن يبدأ حياته العملية بمعالجة الكفار والأجانب فترة من الزمن، كما نفعل نحن الآن حين يبدأ أطباؤنا الناشئون بمعالجة المرضى من المهاجرين والفقراء لمدة سنة أو سنتين.

وقد أمرهم « إله النور » بذلك كما يبدو من المقطوعة التالية :

« يا إله الكون ... يا إله الرب المقدس .. ! دعنى أسألك »
 « عمن يشاء من عبادك أن يمارس فن التطبيب والشفاء ، أيعارسه »
 « أولاً على المرضى من عباد آهورا مزدا ، أم يجزبه أولاً على »
 « المرضى من عبدة الشيطان ... ؟ »

« فأجاب « آهورا مزدا » على هذا السؤال بقوله :

« عليه أن يجزب خبرته أولاً على عبدة الشياطين قبل أن »
 « يجزبها على عبدة رب العالمين ، فإذا استعمل مشروطاً فى جراحة »
 « يجزبها الواحد من عبدة الشياطين فمات ، واستعمله ثانية لو احد »
 « آخر مثله فمات ، ثم استعمله مرة ثالثة لثالث مثله فمات ، فإنه »
 « لا يصلح لممارسة الطب إلى أبد الآبدين ، وعليه أن يقلع عن »
 « معالجة المرضى من عبادى الصالحين .. ! أقاماً إذا استعمل مشروطاً »
 « فى معالجة واحد من أتباع الشيطان فشفاه ، ثم استعمله مرة »
 « ثانية فى معالجة واحد آخر مثله فشفاه ، ثم استعمله مرة ثالثة »

« في معالجة ثالث مثله فشقاء ، فانه يصلح لممارسة الطب إلى أبد »
 « الأكدين » ، وله متى شاء أن يعالج بالجراحة كل مريض من عباد »
 « الله الصالحين ١١٠٠ »

وقد وقف الفرس أنفسهم على خدمة الامبراطورية ، فاستنفدوا بذلك جميع وقتهم ونواحي نشاطهم في الحرب والقتال ، واضطروا كالرومان إلى أن يعتمدوا إلى حد كبير ، في ترقية فنونهم بما يجلب إليها من الخارج . ومن الحق أن نذكر أنهم كانوا يمتازون بإحساس مزهف لتقدير الأشياء الجميلة ، ولكنهم مع ذلك كانوا يعتمدون في صنع هذه الطرف والبدائع على الفنانين الأجانب أو الذين ولدوا من أصل أجنبي ، ولم يخلوا مطلقا عن الاتفاق عليها مما يجبونه من موارد الخراج والضرائب .

وكانوا يمتلكون المنازل الجميلة والحدائق الغناء ، التي تكبر وتتسع أحيانا حتى تصبح حظيرة للصيد والقنص أو مأوى لمختلف الحيوانات كحدائق الحيوان في عصرنا الحاضر .

وكانوا يمتلكون فاخر الأثاث والرياش ، فيمتلكون الموائد المصنقة برقائق الفضة والذهب ، ويمتلكون الأرائك المغطاة بأبريج الأغطية وأجلها ، ويمدون البسط والسجاجيد الرخوة ذات النسيج اللين والألوان البهيجة الشبيهة بالألوان الأرض والسماء .

وكانوا يشربون في كأس من ذهب ، ويزينون موائدهم ومناضدهم بالأصص

الجميلة التي تبدها أيدي الأجنب من مهرة الصناعات والفنانين^(١).

وكانوا يحبون الغناء والرقص، والعزف على العود والناي، والنقر على الدفوف والطبول. وكانت حلبيهم كثيرة مختلفة الأنواع، تتدرج من النيجان والأقراط حتى تصل إلى الخلاخيل والأحذية المذهبة، وكان الرجال أيضاً يتأقنون بأنواع الحلى يشدونها في رقابهم أو يعلقونها في آذانهم وسواعدهم. فأما اللؤلؤ والياقوت والمرجان واللاجورد، فكانوا يجلبونها من خارج ديارهم، وأما الفيروز فكانوا يجلبونه من داخل بلادهم ومناجهم، وقد اعتادت طبقة النبلاء والأغنياء أن تتخذ منه أختامها... وكثيراً ما وجدت بالاضافة إلى ذلك أحجار كريمة ذات أشكال شيطانية غريبة، مثلوا بها ما تصوره من أرواح شريرة وشياطين كثيرة، وكان الملك يجلس على عرش من ذهب، يقوم على أعمدة من ذهب، تعلوه مظلة من ذهب.

أما فن البناء والعمارة فهو الفن الوحيد الذي استطاع الفرس أن يستقلوا فيه بطريقتهم الخاصة. وقد بنوا في عهد «قورش» و«دارالاول» و«أكزرسيس الاول» عدداً من المقابر والقصور، لم يستطع علماء الآثار حتى الآن الكشف عنها بتمامها، ولكن ربما جاء الوقت القريب الذي تستطيع فيه المعاول والفؤوس

(١) عرضت إحدى هذه الاصل في «المعرض الدولي للفنون الفارسية» في مدينة لندن سنة ١٩٣١ فكانت الوحيدة التي اشتعلت على نقش قديم يدل دلالة ظاهرة على أنها كانت مملوكة لـ «ارتاكزرسيس الثاني».

أن تكشف لنا عن هذه الدفائن الضائعة ، فيزيد بذلك تقديرنا للفن الفارسي
وإعجابنا به (١) .

ومن حسن الحظ أن « الاسكندر » أبقى لنا في مدينة « بازارجاده (٢) »
مقبرة « قورش » بما امتازت به من جمال وروعة ، ولكن من الأسف أن طريق
القوافل لثغرى الآن مكاناً عالياً كانت تقع عليه من قبل قصور « قورش »
وابنه الجنون « قبيز » ، ولم يبق من أثر هذه القصور إلا جملة من الأعمدة المحطمة
التي تتناثر هنا وهناك في غير ترتيب ولا تنظيم ، وربما وجدنا بينها جزءاً جانبياً
لباب من الأبواب القديمة ما زالت منقوشة عليه صورة « قورش » بطريق
الخفر والنقش البارز .

وعلى مقربة من هذا المكان ، وفي وسط الوادي ، نجم مقبرة « قورش »
في جلالها الذي يمثل لنا حال الفن منذ أربعة وعشرين قرناً سالفة . . . وهي عبارة
عن ضريح بسيط من الحجارة ، يوناني المظهر والشكل ، يقوم على ساحة منبسطة ،
ويبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين قدماً ، ومن المؤكد أنه كان عند بنائه أكثر
ارتفاعاً مما هو عليه الآن ، وأنه كان قائماً على نوع من القواعد التي تقوم عليها
في العادة مثل هذه الأبنية . . . وهو في هذه الأيام مهجور موحش ، لا تكاد تبقى

(١) تشغل الآن هيئة أمريكية موفدة من قبل «معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو»
بالتنقيب عن الآثار في مدينة «برمبوليس» . ويرأس هذه البعثة الدكتور «جيمس برستيد»
James H. Breasted وقد استطاعت في يناير سنة ١٩٣١ أن تكشف لنا عن مجموعة من
التماثيل ذات قيمة أثرية تعادل جميع ما كان معروفاً من التماثيل الفارسية الأخرى .
(٢) المترجم : تعرف لدى الفرس باسم «نخت مادر سليمان» .

منه إلا صورة شاجبة من شكله الأصلي ، محرومة من كل أثر من آثار الفن والجمال ؛ وكأنما أحجاره المهذمة المخطئة ، تقص علينا قصتها الحزينة الصامتة ، وتطاردا بالحقيقة المريرة التي تحدثنا بأن الجاد أبقي خلوداً وأثبت وجوداً من سائر الكائنات وجميع المخلوقات .

فاذا تعمقنا جنوباً ، واقتربنا من مدينة « پرسپولیس »^(١) « وجدنا » نقش رستم « حيث تقع مقبرة « دارا الأول » . وقد بُدِئت هذه المقبرة ، كالأضرحة الهندية ، في جانب صخري من الجبل ، ونُحت مدخلها بطريقة خاصة جعلته يشبه واجهات القصور ؛ وعلى هذا المدخل بوابة صغيرة ، تحفها أعمدة أربعة رفيعة ، تعلوها إفريز نقش عليه نقوش واضحة ، تمثل الشعوب التابعة لحكم « إيران » ، ترحبها منصبة يبدو فيها الملك وهو يعطي عهده لاله الخير « آهورا مزدا » وللقمر . وقد استطاع الفنان الفارسي أن يبرز فكرته في بناء هذه المقبرة إخراجاً أرستقراطياً بديعاً يميزها بالحسن والبساطة والجمال .

أما الأبنية الفارسية الأخرى التي استطاعت أن تنجو من أفعال الحروب والغارات والسرقات وتقلبات الأجواء مدة السنوات الألفين الماضية فتكاد تنحصر في مجموعة من حطام القصور وبقاياها ... ففي « إكباتانا »^(٢) « بنى الملوك الأقدمون قصراً ملكياً من خشب الساج والسرور المصنق برقائق المعادن ؛ وقد

(١) المترجم : يسميها الفرس « نجنه جمشيد » .

(٢) المترجم : هي مدينة « همدان » المعروفة .

بقى هذا القصر قائماً حتى أيام « بوليبيوس » في سنة ١٥٠ ق . م . ثم تهدم بعد ذلك فلم تبق منه بقية .

أما أرواح الآثار الباقية من إيران القديمة ، فهي مجموعة الدرجات الحجرية والساحة الفسيحة وما عليها من أعمدة شامخة في مدينة « پرسپولیس » . . . وقد أخذ الكشف عنها يزداد يوماً بعد يوم حتى كاد يخلصها عن قبضة الأرض الكتومة ذات الأسرار الخفية ، فأنكشف لنا في هذه البقعة المكان الذي اختاره ملوك الفرس منذ أيام « دارا » ليؤسس فيه كل واحد منهم قصراً منيفاً يحفظ به اسمه من جائلة الزمان وغائلة النسيان .

فأما الدرجات الخارجية التي تصل بين أسفل الوادي والساحة المرتفعة التي تقوم عليها هذه القصور فقد بذت جميع مانعها من أبنية موجودة على وجه الأرض ، وهي في أغلب الفن منقولة عن الدرجات المحيطة بأبراج الكلدانيين ومما بهم المعروفة باسم الـ « زيجوارت » في مدينة « أور » . ولكنها تمتاز عنها بجمال فريد النوع ، لأنها يسيرة المرتقى ، واسعة الجانبين ، يستطيع عشرة فرسان متحاذين أن يرتقوها جميعاً في آن واحد وفي يسر وسهولة^(١) . وليس هناك من شك في أنها كانت مدخلاً رائعاً لهذه الساحة الفسيحة التي اختاروها لبناء هذه القصور الملكية الشامخة . ويتراوح ارتفاع هذه الساحة ما بين العشرين قدماً والحسين قدماً ، ويبلغ طولها ألف قدم وخمسمائة قدم ، وعرضها ألف قدم^(٢) .

(١) وصف فرجيسون Fergusson هذه الدرجات فقال عنها : « إنها أبداع درجات موجودة في أية بقعة من بقاع العالم »

(٢) تجرى تحت هذه الباحة قنوات لتصريف مقبدة النظام ، يبلغ قطر الواحدة منها ستة أقدام ، وهي منحوتة في أغلب الأحيان في جوف المخر الصلب

فاذا التقت عند القمة هذه الدرجات الصاعدة من كلا الجانبين ، ألفينا
أمامنا مدخلا واسعا ، تحفه تماثيل هائلة لجمة من الثيران ، تعلوها رؤوس بشرية
مجنحة على شاكلة مانجند في أردأ التماثيل الآشورية ؛ فاذا تقدمنا قليلا وجدنا
على اليمين أبداع أنموذج لفن العمارة الفارسية ممثلا في قاعة « أگزرسيس »
الأول المعروفة باسم « جهل منار » وهي تقع وما يتبعها من حجرات على مساحة
من الأرض تزيد على مائة الف قدم مربع ، أى أنها بمعنى آخر أكثر اتساعا من
« الكرنك » أو أية كاتدرائية أوروبية كبيرة ما عدا كاتدرائية « ميلان » .
ويعود الصاعد إلى هذه القاعة « الكبرى » بواسطة مجموعه أخرى من الدرجات
كانت مخفوفة بمجدران قصيرة ، نحتت على جوانبها أجمل النقوش البارزة التي
أمكن العثور عليها حتى الآن في إيران .

ولم يبق من الاثنين وسبعين عمودا التي بنوا عليها قصر « أگزرسيس »
إلا ثلاثة عشر عمودا ما زالت قائمة بين حطام قصره ، وكانت جنوع النخل
العالية ، قد انتشرت في أرجاء واحة مقفرة نائية .

وهذه الأعمدة الرخامية مقطعة الأوصال في الغالب ، ولكنها رغم ذلك من
أبداع ما أخرجته يد الإنسان ؛ فهي نحيلة دقيقة ، لا يوجد لها نظائر في أعمدة
مصر أو اليونان ؛ وهي كبيرة الارتفاع يبلغ علوها أربعة وستين قدما ، وقد
حفروا على سيقانها ثمانية وأربعين ثلمة صغيرة ، جعلوا قواعدها تشبه الأجراس
المخفوفة بأوراق الشجر المقلوبة ؛ كما جعلوا رؤوسها على هيئة الزهور يعلوها صدران
لثورين متقابلين ، تتصل رقبتاهما من الخلف ، لتستقر عليها عوارض السقف
التي يغلب على الفن إنهم اتخذوها من الخشب دون غيره من المواد ، لأن مثل

هذه الأعمدة الرفيعة الهيئة ، التي يعتمد الواحد منها عن الآخر بمسافة غير قصيرة ، لم تكن لتقوى على تحمل الموارد الحجرية الثقيلة . وقد صنعوا جوانب الأبواب والنوافذ من حجر أسود لامع ، ينبعث منه برق شبيه ببرق الأنبوس ، وكسوا جوانب الجدران والحوائط بالقراميد اللامعة المنقوشة بأنصع صور الحيوانات والزهور .

أما ما عدا ذلك من الأعمدة المستديرة أو المربعة ، وما يوجد من درجات وسلام أخرى فكانت من الحجر الجيري الأبيض ، أو المرمز الأزرق الصلد . وخلف « جبل منار » وإلى شرفها ، تقع « قاعة الأعمدة المائة » ... ولكن من أسف إنه لم يبق من هذه الأعمدة إلا عمود واحد ، وإلا أحجار متناثرة ، لا يستطيع الناظر إليها أن يدرك صورة المكان على أصله إلا بمشقة وصعوبة ، ويقول قائل أنه من الجائر أن يكون هذان القصران أبدع قصرين بنتهما يد الإنسان في العالمين القديم والحديث .

وقد بنى « ارتاكرسيس » الأول والثاني قصوراً في مدينة « السوس » لم يبق منها إلا بعض دعائمها وأسسها ، وكانت هذه القصور مبنية من الآجر المحروق المسكوب بأنصع أنواع القاشاني ذي الألوان الزاهية البهيجة ، وقد عثر المنقبون في هذه المدينة أيضاً على « إفريز القناسة » وهم جماعة من الحاربين ، يعلب على الظن إنهم من « أخلص خالصاء الملك » لأنهم كانوا يقومون بحراسته والحفاظة على حياته .

ومما يؤيد هذا الرأي أن ملابس هؤلاء « القناسة » المهيئين ، تختلط بها جملة من الألوان الزاهية الواضحة، تجعلها أشبه بملابس الخفلات ، لا بملابس

الحرب والقتال ؛ وكذلك بدت شعورهم ولحاحهم مقصودة قصاً مهذباً بديعاً ،
لا تسميث فيه ولا اضطراب ، كما بدت أيديهم ممدودة في زهو وغرور بما انقبضت
عليه أكتفهم من رماح وحراب .

وقد كان النقش والحفر في مدينة « السوس » وفي العواصم الإيرانية
الأخرى فنين غير مستقلين ، نشأ تبعاً للعمارة والبناء ، وكانت صناعة التماثيل
في أغلب الأحيان من عمل الفنانين الأجانب الذين يفدون على هذه العواصم
من آشور وبابل واليونان .

وبهذا يمكننا أن نصف « الفن الفارسي » بنفس العبارة المختصرة التي
نصف بها سائر الفنون العالمية الأخرى ، فنقول إن أكثر عناصره أجنبية عنه ؛
فبقية « قورش » منقولة عن مقابر « لينديا » والأعمدة النحيلة ما هي إلا تطور
مهذب لأعمدة الآشوريين ، وصفوف الأعمدة والنقوش البارزة ما هي إلا فكرة
مستوحاة من المصريين ، ورؤس الأعمدة التي جعلوها على شاكلة الحيوانات
ما هي إلا عدوى سرت إلى الفرس من أهل « بابل » و « نينوى » . ومع
ذلك كله فقد امتاز البناء الفارسي في مجموعة يميزات خاصة ، جعلت فن العمارة
الفارسية يبدو متميزاً عن سائر زملائه في مختلف الأقطار ؛ وقد زودته هذه
المميزات بنفوق أرسطراطي رفيع ، جعله يسرع إلى تهذيب الأعمدة المصرية
الشاهقة والكتل « الموصلية » الكثيفة لتصبح في صورتها الجديدة في مدينة
« پرسپولیس » مصدراً للروعة والأناقة والتناسب والدقة .

وسمع اليونان ، في كثير من الدهشة والعجب ، بأوصاف هذه القاعات
والمصور ، ونقل إليهم رجالاتهم ومبعوثهم كثيراً من الأخبار الشائقة عن علو

الفن والرفاهية في إيران ، فأنشعوا إلى محاكاة الفرس في أعمدتهم المتوجة
بالزهور ورؤوس الحيوانات ، ولكنهم اكتفوا بأن يجعلوا رؤوسها ذات نتوءات
ملساء على الطريقة « الأيونية » . واختصروا في طول هذه الأعمدة ،
وقصروا سيقانها ، حتى تقوى على حمل ما يركب عليها من عارضات خشبية أو
حجرية . ولم يبق بعد ذلك إلا فرق يسير جداً بين « پرسپولیس » وبين
« أتينا » من حيث المهارة والبناء . ثم استغرق الشرق الأدنى بعد ذلك في
سباته العميق ، ووضع تراثه الخالد يرثه في خدمة اليونان ونحت أقدامها .



رؤوس الأعمدة في مدينة « پرسپولیس »

دور الانحطاط

كيف نزول الامم ... اكزوسيس

صنعة من القتل والفدر

اورتا كزوسيس الثاني ... قورش الاصغر ... دارا الاصغر

أسباب الانحطاط السياسي والحربي والثقفي

الاسكندر يفتح إيران ويرحف إلى الهند

لم تدم الامبراطورية الفارسية التي أسسها « دارا » إلا قرناً واحداً على وجه التقريب ، ثم انقصر بعد ذلك عمودها الفقري بما أصابها من ذلة وهوان في الهزائم المتكررة التي لحقت بها في الوقائع الثلاثة المعروفة « مراتون » و « سالاميس » و « بلاطيا » . فلما أخذ الأباطرة يستبدلون إله الحرب « مارس » بإلهة الحب والجمال « فينوس » انحدرت أمتهم في هاوية سحيقة من الفساد والفثور والتبذل . وليس هناك من شك في أن الاضمحلال الذي أصاب « إيران » قد سبق في عامة أجزائه وسائر تفاصيله الاضمحلال الذي أصاب « روما » ، فأخذ عامة الناس ينحطون أخلاقياً ، ويتسفلون عاطفياً ، وأخذ أصحاب العرش يملكون الأمر حيناً ويتبدلون في الغلظة والشدّة أحياناً أخرى ، وانتقل الفرس ، كما فعل « الميديون » من قبلهم ، خلال أجيال قليلة ، من « الرواقية » المتعفة إلى « الأبيقورية » النهمّة ، فأصبحت ألوان الأكل والطعام ملهية يتلهى بها نبلأولهم ويتفنن فيها سراهم ، وكان من عادتهم ألا يأكلوا إلا مرة واحدة طيلة النهار ، فأخذوا الآن

يفسرون هذه القاعدة السليمة بما يحيز لهم أن يمدوا هذه الأكلة الواحدة من وقت الظهيرة إلى غسق الليل . . . ! وأصبح من دأبهم أن يملأوا بيوت طعامهم بمختلف الأطعمة والأشربة ، وأن يقدموا لضيوفهم الذبائح كاملة لم يقطع شيء منها ، فإذا جلسوا للطعام ملأوا بطونهم بأنواع اللحوم الدسمة اللذيذة ، وإذا انقضوا منه صرفوا بقية وقتهم في التفكير في استبطاء أخلاط جديدة أو أنواع مستحدثة من الأطرية والحلوى . . . وامتألت بيوت الأغنياء بحاشية فاسدة مفسدة من الخدم والأتباع ، وانغمس جميع الناس في احتساء الخمر حتى أصبحت العريضة تقيصة يشتركون فيها بجميع طبقاتهم وطوائفهم ، وانتهى كل ذلك إلى نتيجة واحدة مؤكدة ، هي أن الامبراطورية الفارسية التي خلقها « قورش » و « دارا » ثم ورثها « اگزرسيس » كاملة سليمة قد انتقلت إلى أيدي أعقابهم وخلفائهم فعملوا على هدمها وتخطيئها .

وكان « اگزرسيس الأول » ملئاً كاملاً الصفات ، فكان من حيث المظهر ، طويل القامة قوى الهامة ، اتفق الجميع على جعله أكثر الرجال أناقة وجمالاً في أرجاء مملكته ، وربما كانت أناقته هذه سبباً من أسباب بلائه ونكباته ، لأن أصحاب الجمال من الرجال يمتثلون عادة بالزهو والعجب والغرور ، ولأن أصحاب القوة والشدة منهم لا بد أن تستلهم امرأة تستطيع أن تكبح جماحهم وتبديع أنوفهم ، ومن هنا وقع « اگزرسيس » فريسة لعدد كبير من الزوجات والمحظيات ، وأصبح بذلك مثالا يحتذى به رعاياه في أشباع غرائزهم الجنسية وأهوائهم الحسية ، فلما دارت عليه الدائرة في موقعة « سلاميس » لم تكن هزيمته مفاجأة غير متوقعة ، بل كانت حقيقة مقدرة منتظرة ، لأن عظمتها قامت على أساس واحد فقط

هو حبه للعظمة ، دون أن يمهّد نفسه لمواجهة الشدائد ، أو يزودها بما يحتاج إليه الملوك الحقيقيون من بأس وحزم . فلما انقضت عشرون سنة على حكمه الزاخر بأنواع الدسائس وضروب التراخي في الإدارة والتهاون في إنفاذ الأمور ، قتله واحد من رجال القصر اسمه « ارتبانوس » ثم أخذوه فدفنوه في كثير من مظاهر العظمة والآبهة والرضاء الشامل .

ولن تستطيع سجلات « روما » مهما فعلت أن تنافس سجلات « إيران » فيما اشتملت عليه من حوادث القتل الدامية ووقائع العبد النابية إلا بعد أيام « تيريوس » . ذلك لأنه عند ما تولى « ارتنا كزسيس الأول » عرش إيران أمر باعدام قاتل « ا كزسيس » وبقي على العرش فترة طويلة ، أعقبه فيها على الحكم « ا كزسيس الثاني » . ثم هم بهذا الملك الجديد أحد إخوته من أبيه واسمه « سوجند يانوس » قتله بعد أسابيع قليلة من جلوسه على العرش ، وجاء دور هذا القاتل بعد ستة أشهر ، قتله « دارا الثاني » وتمكن من إخماد الثورة التي تولاها « تيريوتو تشيس » وقبض عليه وأمر بنجسه على ملأ من الناس ، ثم أخذ زوجته فزقها إربا إربا ، ودفن أمهوسائر إخوته وهم أحياء لما تخمد أنفاسهم أو يجمد إحساسهم .

فلما مات « دارا الثاني » خلفه على العرش ابنه « ارتنا كزسيس الثاني » غارب أخاه « قورش الأصغر » حرباً عنيفة في موقعة « كونا كسا » عندما حاول أن يستولى منه على مقاليد الحكم والسلطان ، فلما تمت له الغلبة على أخيه بقي في الملك فترة طويلة تأمر عليه فيها ابنه « دارا » قتله ، ومات كسير القلب حزین الفؤاد وهو يعلم أن ابنه الآخر « أوجوس » قد أخذ في تدبير الحيلة لذبحه والقضاء عليه .

وتولى « أوجوس » الحكم مدة عشرين سنة ، مات بعدها مسموماً على يد قائده « باجرأس » . وأسرع هذا القائد الفاتك إلى تنصيب ابن الملك القتيل واسمه « أرسيس » فى مكان أبيه ، وأعقب ذلك بقتل إخوته ليضمن له الانفراد بالملك والسلطان ، ثم ما لبث أن أقدم على قتل « أرسيس » وأطفاله الصغار ، ونادى بالملك لواحد من أصدقائه الخشيين المسمى « كودومانوس » وولاه العرش مدة السنوات الثماني التالية باسم « دارا الثالث » وهو الملك الذى انتهى الأمر بموته والقضاء على مملكته فى موقعة « أربلا » على يد الاسكندر المقدونى .

ومن المعروف أن الامبراطوريات بطبيعتها عرضة للزوال السريع والانحلال العاجل ، لأن الهمم العالية التى تخلفها سرعان ما تضيع فى نفوس من يرثونها ؛ ولأن الشعوب الخاضعة لسلطانها سرعان ما تأخذ فى استجماع قوتها لئلا تتمكن من استرداد حريتها الضائعة وحقوقها المسلوبة . فاذا أضفنا إلى ذلك كله أنه ليس من الطبيعى أن تبقى الشعوب ذات الألسنة المختلفة والديانات المختلفة والأخلاق والمعادن المختلفة فى وحدة طويلة (لأن تكوينها العضوى يأبى مثل هذا الاتحاد والارتباط) ثم راعينا أن العنف والشدة هما وحدهما الكفيلان بالبقاء على هذا الرباط المصطنع ، وجدنا أن الامبراطورية الفارسية لم تستطع أن تفعل شيئاً طوال قرنين من الزمان للتقليل من مدى هذا الاختلاف البين فى تكوين شعوبها وتركيب عناصرها ، بل اكتفت على العكس من ذلك بأن تحكم جماعة من الشعوب المتباينة ، دون أن تفكر فى أن تخلق من قواها المتطابقة دولة موحدة البناء مرتبطة الأجزاء متماسكة البنيان . وأخذت السنون تنقضى وتتصرم ، وكلما مضى منها عام اشتد الكرب وازداد الخطب وأصبح من العسير المحافظة على هذه

الشعوب في وحدة وارتباط . ثم أخذت قوة الأباطرة في التراخي والقتلص ، وازدادت أطماع الأمراء وجراتهم ، فأخذوا يشنّون القواد والوزراء ببذل المال لهم لكي يحدوا من سلطة الملك الجالس على العرش ولكي يخيفوه بضروب الوعيد وأنواع التهديد ، ثم أقدموا على جمع الجيوش الجراة والضرائب الفادحة ، واشتغلوا بعد ذلك في تدبير المكائيد للقضاء على الملك القاسم في الحكم . وقد عملت الحروب المتصلة والفتن الدائمة على إهلاك « إيران » وإضعافها ، وماتت كثرة من أبنائها الشجعان في حومات الوغى وحلبات النزال والطمأن ، ولم يبق منهم إلا كل هزيل مستضعف جنت نفسه وارتعدت فرائصه ، فلما أرفقت الآفة ، وأخذوا يجمعون الجيوش للفاقة « الاسكندر » دلت الحوادث على أن جيش الايرانيين برعته ما هو إلا مجموعة من الجبناء الرعايد ، قد حرموا كل مران حربى ، وكل جديد من آلات الحرب والقتال ، كما حرم قادتهم من كل دراية بالفنون الحربية ووسائل الكرّ والفرّ ، فلما وقعت الواقعة كانوا كالأطفال الضالين يرتكبون أشنع الأخطاء على غير هدى أو رشاد ، تاركين قواتهم دون أن يزودها من السلاح إلا بالخناجر القديمة ، وكأنهم لم يجمعوهم إلا ليجمعوهم هدا ميسرا لرمح المقتولين الطويلة وفيالقتهم المنظمة العتيدة . ومن الحق أن نقرر هنا أن « الاسكندر » كثيرا ما لها وطرب ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك إلا بعد أن يضمن كسب المعركة والفوز على خصومه . وقد أحضروا إليه قواد الفرس وأمراءهم فوجدهم عازفين عن الحرب والقتال ، ووجد الجيش الايراني خلوا من الجنود الحقيقيين إلا من كان منهم من أصل يوناني .

هذا النزاع بين اليونان وإيران كان متوقعا منذ اليوم الأول الذى أدار فيه

« اگزرسيس » ظهره وعاد إلى بلاده مهزوماً في موقعة «سلاميس» . ذلك لأن إيران كانت حينذاك تتولى حراسة الطريق التجارى في آسيا حتى شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، كما كانت اليونان تتولى حراسة البقية الباقية من هذا الطريق العظيم ، فكان من الطبيعي أن تتحرك الأاطاع في نفوس هاتين الأمتين ، فتجعل الحرب واقعة لا محالة بينهما ؛ فلما وجدت اليونان زعيماً يتولى قيادتها ويجمع أشتاتها ، أخذت تندفع في غير وجل إلى محاربة إيران ونزالها .

وعبر « الاسكندر » مضيق « البسفور » دون أن يعترضه معترض ، وكان يصطحب معه قوة لا يعتد بها في نظر الآسيويين ، قوامها ثلاثون ألف راجل وخمسة آلاف فارس ^(١) . وحاول الجيش الفارسي ، وعدده أربعون ألف مقاتل ، أن يصدم في مكان اسمه « جرانيقوس » ، فلما انجلت الموقعة ، فقد اليونان ١١٥ رجلاً وفقد الفرس ٢٠٠٠٠ رجل ، ثم تقدم « الاسكندر » متجهاً إلى الجنوب والشرق ، فما زال يأخذ المدن تلور المدن ، ويتلقى الجزية في أثر الجزية ، حتى انقضت على ذلك سنة كاملة ، استطاع فيها « دارا الثالث » أن يجمع جيشاً من المحاربين والمغامرين بلغ ٦٠٠٠٠ مقاتل ، عبر بهم نهر الفرات على جسر من القوارب في خمسة أيام ، وقالوا إنه حمل خزانته أثناء هذه الموقعة فلم يكف لنقلها إلا ستمائة رأس من شداد البغال وثلثائة رأس من خيول الأبل والجمال . فلما التقى الجيشان في مكان اسمه « إيسوس » ، ولم يكن لدى الاسكندر إلا جيشه الذي بلغ الثلاثين ألف مقاتل ، شاءت الأقدار أن تبطل « دارا » بالغباء الذي يعجل

(١) يقول جوزيفوس : « ان جميع الآسيويين كانوا يعتقدون أن المقدونيين لن يستطيعوا أن يجرؤوا على محاربة الفرس بسبب كثرتهم وزيادة عددهم » .

بتهاتته ، فاختار للحرب مكاناً ضيقاً جداً لا يسمح إلا لجماعة صغيرة جداً من جيشه في الاشتراك في القتال ، فلما انتهت الموقعة وجد المقدونيون أنهم فقدوا ٤٥٠ من رجالهم ، ووجد الفرس أنهم فقدوا ٤٥٠٠٠ رجل قتل أكثرهم ساعة التفهق والانهزام . وتغلب الاسكندر الناجين من الفرس وعبر بحرى من الماء تكسبت به أجساد قتلاهم ، واستمر « دارا » في هربه ، يهرم على وجهه ، واضطر إلى أن يترك وراءه أمه العجوز وزوجته الجميلة وابنتين شابتين ، ليس هن من عتاد إلا عربته الملكية وسراجه الفاخر الجميل . وتلقى الاسكندر هؤلاء النساء ، وعاملهن معاملة فيها كثير من قواعد الفروسية والرجولة ، مكتفياً بأن يتزوج واحدة من الابنتين ، وقد أدهش مسلكه هذا سائر المؤرخين اليونانيين ، وروى لنا أحدهم وهو « كوينتوس كورتيوس » أن والده « دارا » قد أعجبت بمسلك الاسكندر أيما إعجاب ، وأحبته حباً جماً ، بلغ من شدته أنه عندما بلغها موته كفت عن الطعام والغذاء حتى أدر كها الموت والغناء . . !!

وحاول الشاب الفاتح في ذلك الوقت محاولة جريئة ، شاء بها أن يستولى على جميع الأقطار الواقعة في غرب آسيا ، ولكنه لم يشأ أن يتقدم إلى أبعد مما وصل إليه إلا بعد ما فرغ من تنظيم فتوحاته وتأمين طرق مواصلاته ، وخرج إليه سكان « بابل » وسكان « القدس » ورجعوا بقلقاته ، وقدموا إليه مدينتيهما وما ادخروا فيهما من ذهب وفضة ، فأحسن « الاسكندر » لقاءهم وجزأهم خير الجزاء ، وأباح لهم بناء معابدهم التي أمر « اگزرسيس » بهدمها من قبل . وقد بادر « دارا » فأرسل إليه رسالة يعرض عليه فيها الصلح واستعداده لأن يدفع إليه مبلغاً طائلاً

من المال ^{١١} وأن يزوجه ابنته ، وأن يعترف له بالسيادة على جميع الأراضي
الأسبوية الواقعة في غرب نهر الفرات ، كل ذلك في مقابل أن يرد إليه
الاسكندر أمه وزوجه وبناته ، ويقبل المصالحة وإنهاء الحرب والقتال .

وقد ورد عن « بارمانيو » - وهو القائد التالي للاسكندر على جيوش اليونان -
أنه قال للاسكندر : « لو كنت في مكانك لما ترددت في قبول هذه العروض
السخية ، ولشعرت بالسعادة التامة في إنهاء الحرب على هذه الصورة المشرفة ، دون
أن اضطر إلى الزج بجيشي في هزيمة محتملة » . ولكن الاسكندر أجاب على
ذلك بقوله : « إني على استعداد لأن أفعل كل ذلك لو كنت بارمانيو ولم أكن
الاسكندر ... » وأرسل إلى « دارا » يخبره بأن شروط الصلح مرفوضة
رفضاً تاماً وأنها لا تعود عليه بشيء من الفائدة ، لأنه يملك من الأراضي الأسبوية
جميع الأنحاء التي عرضها عليه ، ولأنه يستطيع أن يتزوج ابنته عند ما يروق
له ذلك . وقد أحس « دارا » باليأس من مجادلة هذا القائد المنطقي فأنصرف
مضطراً إلى جمع جيش آخر لمحاربة من جديد .

في هذا الوقت استطاع « الاسكندر » أن يستولى على مدينة « صور » ،
كما استطاع أن يضم « مصر » إلى حوزته ، فلما تم له ذلك أخذ يفترق أراضي
الامبراطورية الفارسية العريضة قاصداً الاستيلاء على عواصمها البعيدة . وسارت
جيوشه من مدينة « بابل » ووصلت بعد عشرين يوماً إلى مدينة « السوس »
واستولت عليها دون أن تصادف شيئاً من المقاومة ، ثم خرجت منها بسرعة إلى

مدينة « برسبوليس » ، وفاجأت حراسها وأخذتهم على غرة فلم يتمكنوا من قتل خزانها والافلات بها . وهناك ارتكب « الاسكندر » عملاً مشيناً لطخ به حياته الخافضة بمجلائل الأعمال ، فقد تمادى في غيه ارضاء لـ « تاليس » وأعرض عن الاستماع إلى نصيحة قائده « پارمانيو » فأمر بإحراق القصور والغارة على المدينة ونهبها ^(١) ، فلما فرغ من ذلك ونشط الجند ، لما أصابهم من عطاء وما استولوا عليه من أسلاب ، خرج الاسكندر على رأسهم صوب الشمال لينازل « دارا » في موقعة حاسمة أخيرة .

واستطاع « دارا » أن يجمع من ولاياته الشرقية جيشاً جديداً بلغ عدده مليوناً من الرجال ، كان بينهم الفرس والبابليون والآشوريون والأرمن والبلخيون والصفند والهنود والسكاكا والكابادوسيون ، وتحقق من أخطائه السابقة فلم يزودهم ، كما كان يفعل من قبل بالقسي والسهام ، بل زودهم في هذه المرة بالرماح والنصال والدروع والخيول والقبيلة والعربات ذات المناجل الدائرة التي بنيت لتحصد العدو حصداً كما تفعل المناجل في حقول الحنطة أو الشعير ... وبنت آسيا بهذه الجوع الحاشدة ، كأنها تريد أن تبذل هذا الجهد الأخير لكي تحافظ على كيانها في وجه أوروبا الناشئة الناهضة .

واندفع الاسكندر بسبعة آلاف فارس وأربعين ألف راجل ، وتلاقى مع

(١) يتفق المؤرخون « بلوغارخ » و « كوينتوس كورتيوس » و « ديودوروس » على صحة هذه الرواية ، وهي لا تؤذي سمعة الاسكندر في شيء ، ولكننا مع ذلك نحس بشيء من الشك في صحة تفاصيلها .

هذا الجيش الفارسي المختلط في مكان اسمه « گوا گمبلا »^(١) فاستطاع بقيادته الخازمة وأسلحته الصارمة وشجاعته الدائمة أن يوقع بخصمه ويشقت عدوه في يوم واحد .

واضطر « دارا » مرة أخرى إلى الحرب والنجاة بنفسه ، ولكن بعض قواده تمسوا عليه جنبه وتبعوه حتى قتلوه في خيمته . وقد أمر « الاسكندر » بقتل هؤلاء القواد الخائنين ، ثم حل جثة « دارا » في جنازة رسمية إلى مدينة « پرسپوليس » ودفنها هناك بنفس المراسم التي كانت معروفة لدى ملوك « الآكيينيين » الأسبقين .

وأجتمع الفرس بعد ذلك حول أعلام الفارزي اليوناني ، وراقبهم نظرة عوده وكثرة كرمه وجوده ، فدانوا له بالطاعة بعد ذلك ، وأصبحت فارس ولاية من ولايات الامبراطورية المقدونية ، لا تحتاج من الاسكندر إلا إلى حامية قوية يتركها فيها ، ليخرج بعد ذلك غازيا وفاتحا لبلاد الهند .



رأس عقاب من الزجاج الملون
وجد بين آثار « الدولة الآكينية »

(١) مدينته تبعد عن « أربلا » بمسافة ستين ميلاً ، ومن هنا سميت المعركة أحياناً بموقعه « أربلا » .

كشاف بالأسماء

أراك (نهر) ١٨	٤٨	آتو
أران ١٨	٢٠	آرامية
أوبلا ٨٤٦٧٨	١٨	آريانا
ارتا كرويسيس ٧٧، ٧٢، ٦٥	١٨	آديون
ارنا كرويسيس الثاني ٦١٤٥٦٤٥٢، ٣٦	١٥٠٩٤، ١١٠١٠٤٥٤٣	آسيا
٧٧، ٧٥، ٧٢، ٦٧	٨٣٤٨١٤٨٠، ٣٣، ١٧	آسيا الصغرى ٣٤٤١٠
٧٧	٣٤٤١٠	آشور
٧٨	١٧، ١٣، ١٠، ٥	آشوريون ٧٣، ٣٤
٨٣٤٣٤	٨٣، ٧٣، ٣	آمون
١٧٤١٣	١٢	آنجور وهايلوس ٤٤
١٥	٣٦، ٢٩، ٢١، ٧، ٥	آورا مزدا
٦١	٤٢، ٤١، ٣٩، ٣٨، ٣٧	٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣
٧٤٦	٥٥٤٥٢، ٥١، ٤٩، ٤٨	٦٩، ٦٥، ٥٩
٥٠	٣٧، ١٨	آريانا فيجو
٤٤٠، ٣٤٦٣٢، ١١٤٩	٣٨	أبستاق
٤٧٨، ٧٥٤، ٦٨، ٥٦	٤٤	إيليس
٨٤-٨٠، ٧٩	١٢	أيبس
٤٠	٧٥	أيقورية
٢٣	٣١	أتراك
٢٣	٦١، ١٥	آنوسا
٢٣٠، ١٨٠، ١٧٠، ١٤	٧٤، ١٥	آينا، آينا
٤٧٤٤١٠، ٤٠، ٣٩، ٣٨	٤٨	إخنانون
٦٢٤٥٨، ٥٧٤٤٩	٤٣	آديون
٦٩٠٥٥، ٣٢٤٧٠، ٤	٤٠	أرافولوجيسوس
٨٤٦٣٤، ٩		
٦٧٠٥٧، ٢٨، ٢٧، ٢٣		

۲۳	البحر الأحمر	۸۱۶۸۰۰۷۷۶۷۶۰۷۵۰۷۱
۱۵	بحر ایجه	۷۷
۴	بخاری	۳
۵۷	براهمة	۹
انظر « برسیولیس »	برسیولیس	۴۳
انظر « بوسفور »	بوسفور	۵۳۰۰۵۲۰۳۹
۳۸	بشتاسب	۴۰
۱۷	بکتریا	۷
۷۵۰۲۹	بلاطیه	۳۵
۱۷	بلوچستان	۴۰
او « بلوتارک » ۵۵۶۰۳۱	بلوتارک	۴۶۰۴۵۰۴۴۰۴۲۰۴۶
۸۳		۵۱۰۴۷
۶۲۰۴۰	بندهش	(انظر آمورا، زردا)
۵۵۰۳۶	بیتون	۷۸۰۷۷
۸۰۰۲۲۰۱۴	بوسفور	۷۰
۳۸	بیروسیوس البابی	۳۸
۱۷	یارس	۱۵
۳	یارسوا	۱۷۰۱۸۰۱۱۰۱۷
۵۴۰۴۶۰۴۱	یاریسون	۶۱۰۶۶۰۶۵۰۶۱
۸۳۰۸۲	یادمشو	۷۷۰۷۵۰۷۴۰۷۱
۶۱	یاریساتس	۸۰۰۷۹
۶۸۰۱۵	بازار جاده	۷۹۰۳۹
۶۶۴۰۴۰۰۳۲۰۱۶۰۲۸	برسیولیس	۸۰۰۵۶
۶۷۴۰۷۳۰۷۰۰۶۹		۱۷۰۱۵
۸۴۰۸۳		۱۰۰۱۳۰۱۷۰۲۶
۱۲	برکسایس	۳۴۰۳۵۰۳۶۰۷۳
انظر « بازار جاده »	بازار جاده	۸۲۰۸۱
۷۰	بولیبوس	۱۱۰۳۴۰۳۳۰۳۴۰۳۳
۸۳	تائیس	۷۸
۷۷	تیریبوس	۴۰
۵۴	تتار	انظر « یاریسون »
انظر « برسیولیس » ۸	تخت جشید	انظر « بازار جاده »
۶۹۰۳۲		۷۰۰۳۵۰۲۳
		البحر الابيض

۶۶ و ۳۳	رومان	۱۵	نخت مادر سلیمان: انظر « بازار جاده »
۵۲ (الدولة)	رومانیة (الدولة)	۶۸ و ۳۲	
۵۰۹ و ۵۳ و ۳۸ و ۳۷	زرتشترا	۳۵	نراجان
۳۹ و ۳۸ و ۳۷ و ۶	زردشت	۷۷	تربیتو تسمیس
۴۴ و ۴۳ و ۴۲ و ۴۰		۴۱	توراة
۵۵ و ۵۱ و ۴۹ و ۴۷		۸۰ و ۵۶	جراثیقوس
۶۰ و ۵۸ و ۵۷		۷۲ و ۷۱	چهل منار
۴۵ و ۴۴ و ۴۱ و ۱۸	زرد شقیون	۸۰	جوزیغوس
۵۵ و ۵۱ و ۴۶		۱۱	سیمفون
۳۷	زرواستر	۶۸	جیمس برستید
۴۰ و ۲۰	زند	۶۵	حامر واپی
۴۰ و ۲۱ و ۲۰ و ۳	زند افستا	۴۱	خرده اقسا
۵۳	زهره	۷۷ و ۷۵	دارا الاصف
۷۰	زنجیورات	۱۷ و ۱۵ و ۱۴ و ۱۳ و ۹	دارا الاول
۵۴	ساسانیة	۲۳ و ۲۲ و ۲۰ و ۱۸	
۸۳	ساکا	۳۳ و ۲۷ و ۲۶ و ۲۴	
۱۳	ساکیا	۵۲ و ۳۹ و ۳۸ و ۳۶ و ۳۵	
۱۰	سامیون	۶۷ و ۶۴ و ۶۰ و ۵۵	
۱۸	سترایق	۷۶ و ۷۵ و ۷۰ و ۶۹	
۵۵	سترا انکارا	۷۷	دارا الثاني
۲۲ و ۱۰ و ۵ و ۳	سردیس	۸۰ و ۷۸ و ۳۵	دارا الثالث
۹	سقراط	۴۳	دار مستتر
۸۰ و ۷۶ و ۷۵	سلامیس	۱۴	دانوب
۳	سلما نصر الثالث	۶	دانیال
۲۷ و ۱۳ و ۱۱	سمردیس	۴۰	دینکرت
۴	سمرقتند	۸۳	دیودوروس
۱۷ و ۱۴	سند	۵ و ۴	دیوسیپس
۷۷	سوجید یانوس	۴۱	وچ — قیدا
۱۷	سنوریا	۷۵	رواقیه
۱۳	سوزیانا	۱۸ و ۱۴	روسیا
۳۲ و ۲۳ و ۲۲ و ۱۸	سوس	۱۲	روکسانا
۸۲ و ۷۳ و ۷۲		۷۷ و ۷۵ و ۳۵ و ۱۴	روما

۴۱۶۴۰	قیدا	۶۴۵	سیاکوئارس
۷۵	قیتوس	۳۶۶۱۴	سیدون
۷۲	قاعة الأعمد المائة	۱۷	سیایسیا
۸۱	القدس	۷۴۴۳۲، ۱۱۴۷	شرق آدنی
۱۲	قرطاجنه	۸۳، ۱۷	صننه
۱۱	قزوین	۸۲	صور
۴۱۳۶۱۲، ۱۱۴۹	قیدز	۵۷	سیلیون
۶۸۴۳۰		۵۰	ضحاك
۱۵۴۱۱۶۱۰۴۹۴۷	قورش	۳۲	عیلیمون
۶۴، ۲۶۴۲۴۴۲۱		۴۱۳، ۱۱۶۹، ۷-۴	فارس
۷۶۴۷۳۴۶۸، ۶۷		۴۲۳، ۲۰، ۱۷۴، ۱۵	
۷۷۴۷۵۴۳۱	قورش الاصغر	۴۴۵۴۴۴، ۲۵، ۲۳	
۱۷	کایادوسیا	۸۴، ۶۳، ۵۴، ۴۴۸	
۸۳	کایادوسین	۱۷	فارستان
۴۰	کلتها	۸۲، ۸۰، ۲۲	فرات
۵۲	کتاب المونی	۵۵	فرادرش
۳	کردستان	۱۵، ۱۰، ۴۹، ۷۴۶	فارس
۳۶	کرمانشاه	۴۲۱، ۱۹، ۱۸۴، ۱۷	
۷۱	کرنک	۴۳۵، ۳۴، ۲۸۴، ۲۳	
۱۲۴۱۰	کروزوس	۴۴۱، ۴۴۰، ۳۸۴، ۳۷	
۹	کسینفون	۴۵۰، ۴۴۹، ۴۴۸، ۴۷	
۳۸	کشتاسب	۴۵۶، ۵۵۴، ۵۴، ۵۲	
۷۰	کلمیون	۴۶۲، ۶۱۴، ۵۸، ۵۷	
۸۴	کواکیلا	۷۴۴۷۰، ۶۷، ۶۶، ۶۴	
۷۸	کودوماوس	۸۳، ۸۱، ۴۸۰، ۴۷۹، ۷۵	
۷۷۴۳۱	کوناکسا	۷۰	فرجیسون
۸۳، ۸۱	کوینتوس کورنیوس	۶۳	فردریکه نیشه
۶۷	لندن	۱۷	فریجیا
۴۷۴۰، ۱۷۴، ۱۳۴، ۱۰	لیدیا	۴۳	فیلو
۷۳۴۳۳		۳۵۴، ۱۷	فیلیپا
۷۵	مارس	۲۳۴، ۱۲	فیلیپون
۴۴	ماتیو آرنولد	۴۰، ۳۸	قشتاسب و قشتاسب
۳	مادیا	۱۴	قولجا

٣٥	مادريان	٧٥٠٢٩٠١٥	ماراتون
٧	مارياجوس	٥٣٠٥٢٠٤٦٠٣٩	مرا
٢٣	موقل	٣٢٠٣١	مترداتس
١٢٢٠١٥٠١٠٠٠٩٠٤	مروودوت	٥٣٠٤٦٠٣٩	مچوس
٥٨٠٤٨		انظر «ماراتون»	مرا تون
١٣	مقتاسبس	١٧٠١١	مناسيته
٦٩٠٣٢٠٤	مدان	٣	المسيح
٤٢٣٠١٨٠١٧٠١١	مند	٣٤٠٣٣٠١٧٠١٣	مصر
٧٥٠٥٤٠٤١٠٣٤٠٢٥		٨٢٠٧١٠٤٩	
٣٩	مندوس	٧٣٠١٢	مصريون
٨٣٠٤٥٠٤٢	مبود	المعرض الدولي للثقون الفارسية ٦٨	
٤٩٠٣٩٠٣٧٠٢٢	موما	معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو ٦٨	
٤١٠٤٠	وانديداد	٨١٠٨٠٤٧٩	مقدونيون
٤٠	ويبيرد	١٢	منفليس
٤٧٠٤٣٠٤٠	يشتا	٤١٣٠١١٠١٠٠٥	ميديا
٤١	يشت	١٨٠١٧	
٤٢	يعقوب	٣٤٠٢٨٠١٨٠٧٠٣	ميدون
٥٧٠٤٩٠٤٤٠٢٣٠١٠	يهورد	٧٥٠٥٥٠٣٨	
٠١٩٠١٨٠١٥٠٩	يونان	٧١	ميلان
٠٣٨٠٣٧٠٣٣٠٢٥		١١	نابليون
٠٥٦٠٥٣٠٤٢٠٤٠		٦٩٠١٨	نقش رستم
٠٧٣٠٧١٠٦٣٠٥٨		٧٣٠٥	نيتوي
٨٢٠٨٠٠٧٩٠٧٤		٢٣٠١١	نيل
٥٣٠٤٠٠٢٣	يونانيون	٣٩	هاأوما

جدول الرسوم

الواردة في الصفحات السابقة

ص	
٧	رمز لإله الفرس « آهورامزدا »
٨	مدينة « پرسپولیس » المعروفة في الفارسية باسم « تخت جمشید »
١٥	مقبرة قورش في « بازارجاده » المعروفة في الفارسية باسم « تخت مادر سلیمان »
١٦	بقايا بعض القصور الملكية في مدينة « پرسپولیس »
٢٤	قورش مؤسس الأسرة « الأكمنية »
٣٦	« آهورامزدا » كما صوروه على الصخرة العائيه « بیستون » بالقرب من کرمانشاه
٤٥	جماعة من وفود الشعوب الخاضعة يجلبون الجزية إلى ملوك الفرس
٦٣	جماعة أخرى من وفود الشعوب الخاضعة يجلبون الجزية إلى ملوك فارس
٧٤	رؤوس الأعمدة في مدينة « پرسپولیس »
٨٤	رأس عقاب من الزجاج الملون وجد بين آثار الدولة « الأكمنية »

الكتاب التالى

الكتاب التالى من كتب « المكتبة الفارسية » هو الترجمة العربية
لكتاب :

« تاريخ الآداب الفارسية »

تأليف :

المستشرق الكبير « إدوارد براون »

أستاذ الآداب العربية والفارسية بجامعة كامبردج سابقاً

وهو عبارة عن موسوعة كاملة فى الأدبين الفارسى والعربى ، تقع فى أربعة
مجلدات كبيرة ، يربو عدد صفحاتها على الألفين من الصفحات :

المجلد الأول : منذ أقدم الأزمنة إلى عهد الفردوسى

المجلد الثانى : من الفردوسى إلى السعدى

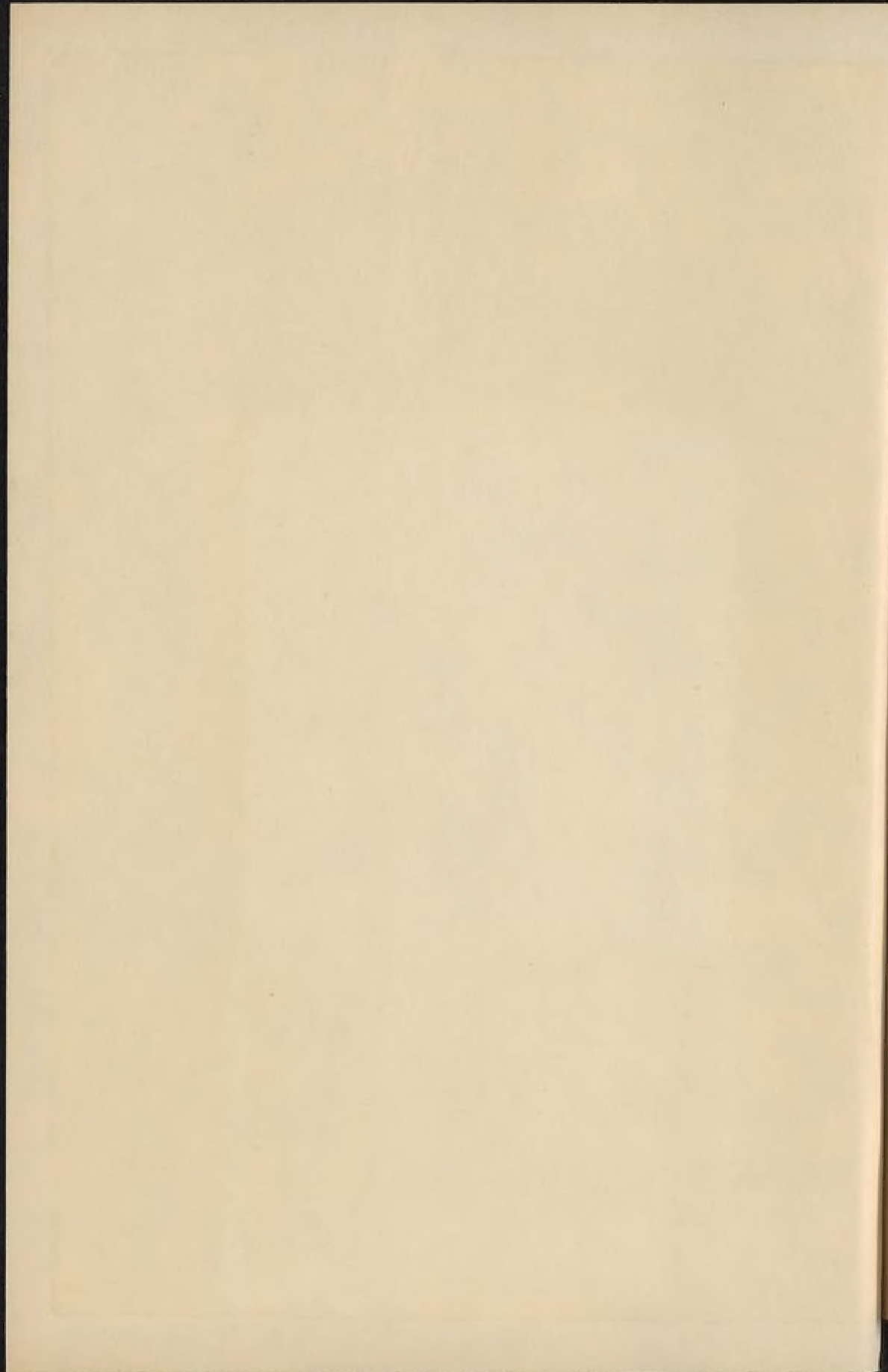
المجلد الثالث : الآداب الفارسية فى عصر المغول

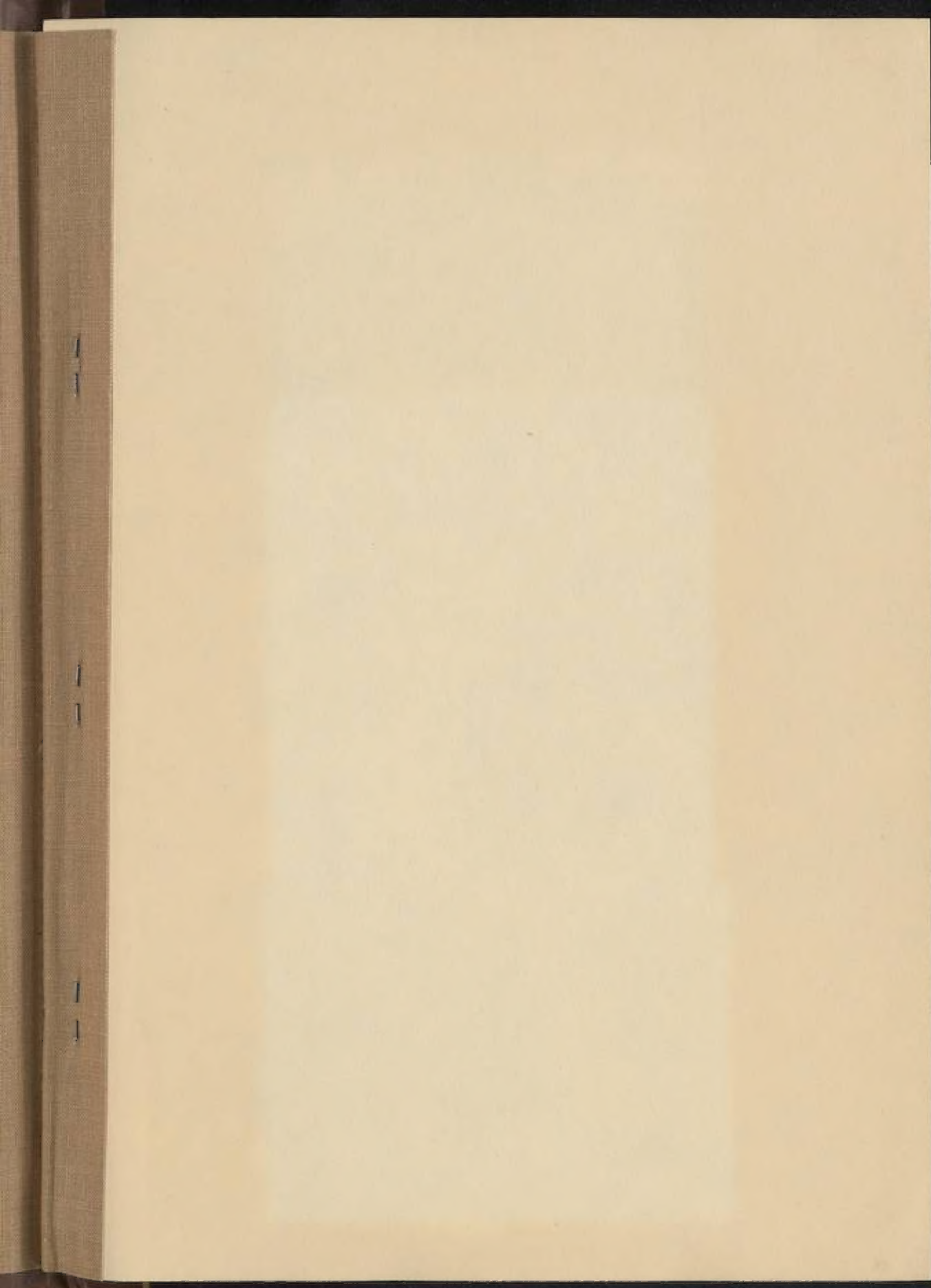
المجلد الرابع : الآداب الفارسية فى الأزمنة اللاحقة لعصر المغول





الناشر
مكتبة الخانجي
بشارع عبد العزيز بمصر





DATE DUE

DATE DUE

028826720

CALL NUMBER / MAIN ENTRY

CB 251 .D82

LOC

INSERT

BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MODIFICATION OF THIS CARD.

Columbia University
in the City of New York



THE LIBRARIES

PRINTED IN U.S.A.

JTC 23693

OCT 8 1968

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU60673940

CB251 .D8

Qissat al-hadarah al

CB-251-D8